الدبلوماسية السرية الأمريكية ومصر
قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣

د . جمال شقرة

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة عين شمس

الدبلوماسية السرية الأمريكية ومصر قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣

شهدت العلاقات المصرية الأمريكية تطوراً ايجابياً نسبياً فى عهد الرئيس الأمريكى " جون كينيدى " الذى أظهر قدراً من الاعتدال فى مواقفه ، واتجهت السياسات الأمريكية نحو التفكير فى تسوية سلمية للصراع العربى الاسرائيلى وعملت الإدارة الأمريكية فى عهده على تخفيف حدة التوتر فى العلاقات مع مصر، غير أنه بحلول النصف الثانى من الستينيات وفى عهد الرئيس"ليندون جونسون " تبدل الوضع ، وعادت العلاقات المصرية الأمريكية ، مرة أخرى إلى التوتر ، وتدهورت بشدة نتيجة للتدخل المصرى فى اليمن من ناحية ، وللإنحياز الأمريكى إلى جانب إسرائيل من ناحية أخرى ، وهو الأمر الذى اتضح من تدفق الأسلحة الأمريكية والغربية إلى إسرائيل[١] .

ولقد حسمت الوثائق الأمريكية التى نُشرت[٢] حول فترة حكم جونسون[٣] مسألة تأييد وانحياز وضلوع إدارته فى مؤامرة الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، حيث ساندت الولايات المتحدة الأمريكية ، إسرائيل قبيل وإبان وبعد الحرب ، كما كشفت هذه الوثائق عن أهداف ومحركات السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط، وكيف ولماذا اصطدمت بالسياسة الخارجية المصرية إبان حكم جمال عبد الناصر ؟ وتحديداً بعد إنتهاء شهر العسل الطويل نسبياً بين الولايات المتحدة الأمريكية وثورة ٢٣ يوليو[٤]، على أية حال أصرت إدارة الرئيس جونسون على التخلص من جمال عبد الناصر وإزاحته من طريقها ، وذلك إما باغتياله أو بهزيمته على يد أصغر دولة فى المنطقة " إسرائيل " ، ومن هنا تم إطلاق حرية العمل لها "To Unleash Israle" وكان الخامس من يونيو ١٩٦٧؛ هو اليوم الذى تقرر فيه تنفيذ عملية "اصطياد الديك الرومى"[٥].

ويمكن إيجاز مواقف الولايات المتحدة الأمريكية من العدوان الإسرائيلى على مصر والدول العربية فى يونيو ١٩٦٧ فيما يلى :-

أولاً : ضمان عدم تدخل الاتحاد السوفيتى فى مجريات الحرب والصراع ومحاولة الإبقاء عليه فى إطاره الإقليمى.

ثانياً: ضمان تجنب الدخول فى مواجهه مباشرة مع الاتحاد السوفيتى من خلال التأكيد دعائياً ودبلوماسياً ، على عدم التدخل الأمريكى المباشر ، إلى جانب محاولة الإبقاء على حجم التهديد الإسرائيلى للدول العربية داخل الإطار الذى يمكن أن يقبله الاتحاد السوفيتى.

ثالثاً : التلويح باستخدام عنصر الردع كنوع من التغطية على عمليات التراجع بمعنى أن يتم التراجع من منطلق القوة.

رابعاً : محاولة تأمين أكبر قدر من المكاسب التى حققتها إسرائيل خلال العمليات الحربية عن طريق التلكؤ فى العمل على استصدار قرار وقف إطلاق النار [٦].

لقد قدمت الولايات المتحدة الأمريكية ، بهذه المواقف دعماً لإسرائيل يعادل دعمها وإمدادها بالسلاح[٧] وكما هو معروف أصرت إدارة جونسون، على أن يتم وقف إطلاق النار فى المكان الذى تقف فيه القوات ، ولم توافق على انسحاب القوات الاسرائيلية ، إلى خطوط ماقبل إندلاع الحرب [٨] .

وبعد انتهاء الحرب ، أصبح تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل علنياً سافراً ولم يعد مستتراً كما كان قبلها ، وتنكرت إدارة جونسون للوعود التى كانت قد قطعتها على نفسها قبل الحرب، إذ كانت قد تعهدت بتأييد الاستقلال السياسى، وسلامة أراضى جميع دول المنطقة وبإدانة أى طرف يبدأ بالعدوان[٩]. فلما تأكدت من انتصار حليفتها ، صرح وزير خارجيتها دين رسك بأنه لايعرف على وجه التأكيد من الذى بدأ الحرب [١٠] . ورفضت الولايات المتحدة الموافقة على مشروع قرار يطالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضى العربية التى احتلتها [١١].

وتبلورت قناعة جونسون فى أن كل شىء بعد ١٩٦٧ يجب أن يتم فى صالح

إسرائيل فالمنتصر من حقه أن يفرض السلام فى المنطقة وبالطريقة التى تخدم مصالحه وتحقق أمنه [١٢].

وتكشف وثائق الأمن القومى الأمريكى ، أن اللجنة الخاصة بمتابعة أزمة الشرق الأوسط ، فى مجلس الأمن القومى [١٣] اجتمعت بعد ظهر يوم ١٤ يونيو ١٩٦٧ وقررت تعويض إسرائيل عما خسرته من الأسلحة ، فأرسلت لها ٦٢ طائرة كبديل عن ال ٣٧ طائرة التى خسرتها على الجبهة المصرية [١٤] . كما اتخذت اللجنة قراراً بالضغط على الحكومات العربية ، ومساومتها بإعادة الأراضى التى خسرتها ، مقابل توقيع اتفاقيات سلام مع إسرائيل ، ولإسرائيل فى نفس الوقت أن تحتفظ بما تريد من الأراضى العربية ضماناً لأمنها ، وكذلك مساومة الاتحاد السوفيتى أثناء مباحثات سباق التسلح باستخدام ورقة مرتفعات الجولان السورية كورقة ضغط مؤثرة [١٥].

على أية حال ، حددت الولايات المتحدة الأمريكية الملامح العامة لسياستها فى الشرق الأوسط بعد انتصار إسرائيل وهزيمة العرب فى المحاور الرئيسية الآتية :-

أولاً :- إنهاء حالة الحرب فى الشرق الأوسط .
ثانياً :- ضرورة اعتراف العرب بدولة إسرائيل .
ثالثاً :- ضرورة دخول العرب فى مفاوضات مباشرة مع إسرائيل .
رابعاً :- حق إسرائيل فى الاستخدام الحر لقناة السويس والمضايق .
خامساً :- إبعاد النفوذ السوفيتى عن منطقة الشرق الأوسط [١٦] .

ومع ذلك ، لم تتعجل الولايات المتحدة الأمريكية فى طرح أفكارها حول التسوية السلمية الشاملة لمشكلة الشرق الأوسط ، إذا كان جونسون يعتقد أن الوقت فى مصلحة إسرائيل ، وأن انشغاله فى فيتنام سيعوق تفرغه لموضوع الشرق الأوسط فضلاً عن ضعف النفوذ الأمريكى فى دول المواجهة مع إسرائيل[١٧]، وكانت إسرائيل هى الأخرى ، تعتقد أن الهزيمة التى مُنيت بها

الدول العربية ، قد قضت عليهم تماماً ، وأنه لم يعد أمامهم إلا الاستسلام [١٨]. لذلك ضربت بعرض الحائط القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وكان من الممكن أن يحقق تسوية مقبولة ، كما عرقلت أى مشاريع أخرى للتسوية [١٩] .

إلا أن الأيام أثبتت خطأ التصور الأمريكى ، وبعد التقديرات الإسرائيلية عن الحقيقة فالنصر غير العادى الذى خطفته إسرائيل من العرب ، وإن كان قد منحها إحساساً بالأمن ، إلا أنه كان إحساساً زائفاً لايقوم على دراسة موضوعية واقعية لإمكانات الطرف الآخر ، فضلاً عن أن الهزيمة تسببت فى جروح غائرة فى صدور العرب ، ومست كرامتهم مساً مهيناً وكان هذا الإحساس يدفعهم دفعاً منذ انقشاع غيوم الحرب إلى الانتقام من عدوهم التاريخى [٢٠] . لقد رفض العرب الهزيمة ولم يرضخوا لإسرائيل ، وقرروا الاستمرار فى مواجهتها حتى تتحرر الأرض العربية.

وتبلور الموقف العربى فى مؤتمر القمة العربية الذى عُقد فى الخرطوم بعد الهزيمة حيث صدرت " اللاءات الثلاث الشهيرة " لترفض الصلح والمفاوضات والاعتراف بإسرائيل ٠ وكانت هذه اللاءات أبلغ تعبيرعن حقيقة مشاعر العرب تجاه إسرائيل [٢١] ٠ وأعلن جمال عبد الناصر أن " ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة " [٢٢] ٠ وسرعان ما انفجرت حرب الاستنزاف على الجبهتين المصرية والسورية ، وأُلحقت بإسرائيل خسائر لايُستهان بها سواء فى الأفراد أو المعدات والطائرات ، والأهم فى الاقتصاد [٢٣] ٠

وعلى الرغم من الاستنزاف المُضاد الذى نفذته إسرائيل ، واتجاهها إلى الضغط بضرب العمق والمدن المصرية والسورية ، فإن الولايات المتحدة اضطرت إلى طرح المبادرة التى سُميت باسم وزير خارجيتها " روجرز " وذلك يوم ٥ يونيو ١٩٧٠ بهدف إيقاف أول حرب اليكترونية فى الشرق الأوسط ، ودعوة الأطراف المعنية للدخول فى مفاوضات يشرف عليها السفير " جونار

يارنج " من أجل تنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ [٢٤].

لكن مبادرة " روجرز " فشلت نتيجة لتعنت إسرائيل ، كما أن " جمال عبد الناصر" هو الآخر لم يكن جاداً عندما قبلها ، إذ كان يهدف من وراء وقف إطلاق النار استكمال تسليح قواته العسكرية ، وبناء حائط الصواريخ ليتمكن من حماية المدن المصرية ، التى كانت هدفاً لطائرات الفانتوم الأمريكية [٢٥]. كما فشلت المباحثات السرية ، بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية فى إعادة الدفء إلى العلاقات بين البلدين ، أو التوصل إلى مبادئ لتسوية سلمية تُقر بانسحاب إسرائيل من كافة الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ [٢٦] . إلا أنه مع بداية السبعينيات من القرن العشرين صعدت إلى حكم الولايات المتحدة الأمريكية ، إدارة جمهورية جديدة برئاسة ريتشارد نيكسون [٢٧] الذى عين وليم روجرز وزيرًا للخارجية، والدكتور هنرى كيسنجر مستشارًا للأمن القومى ، وجوزيف سيسكو مساعدًا لوزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط كما اختار وليم سكرانتون حاكم ولاية بنسلفانيا ، مبعوثاً خاصاً للشرق الأوسط ، إلا أنه سرعان ما أصبح هنرى كيسنجر شريكاً لنيكسون فى صناعة وإدارة السياسة الخارجية الأمريكية خاصة بعد أن عينه وزيراً للخارجية [٢٩] .

ولقد حملت هذه الإدارة تقييماً جديداً للأوضاع والأزمات الدولية ، والتغيير الذى طرأ على قواها الفاعلة والمؤثرة ، ولقد تجاوز هذا ، التغيير والتحول الذى حدث للخصم والمنافس الرئيسى أى الاتحاد السوفيتى، الذى وصل إلى مستوى التعادل Parity فى القوى النووية والإستراتيجية معها، إلى حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية ، وما طرأ على قوتهم وإرادتهم المتنامية ، وكذلك التحول الذى جرى فى الصين الشعبية من الصداقة والتحالف مع الإتحاد السوفيتى إلى العداء والخصومة لدرجة الصدام المسلح وشملت الرؤية الجديدة كذلك، الدول النامية ، وفى مقدمتها دول الشرق الأوسط ، كأهم مواقع وبؤر الحرب الباردة[٣٠].

ولعل أهم ما خلصت إلية إدارة نيكسون أن إطار السياسة الدولية جميعه كان يتغير ، وأن ذلك يفرض تحديداً حقيقياً للولايات المتحدة الأمريكية ، وأنه لابد من صياغة سياسات ، وإقامة علاقات جديدة تتفق مع هذه التحولات ، وبمعنى آخر لابد من بناء ، إطار جديد للسلام تتكون عناصره الأساسية من ثلاثة أضلاع :-

أولاً :- القوة Power

ثانياً :- المشاركة Partnership

ثالثاً :- التفاوض Negotiation

ومعنى هذا ، أن المنازعات الدولية يجب أن تسوى على مائدة المفاوضات[٣١] وتستخدم فيها الأسلحة الدبلوماسية بدلاً من أن تنتقل إلى ميادين المعارك ، وتستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل أى أن تدار الصراعات بدون حروب War without gun كلما أمكن ذلك ، فإذا لم يكن ذلك ممكناً فلتكن الحرب المحدودة Limited war ومعنى هذا أن يحل الاعتدال وتحل الحلول الوسط مكان التطرف والقتل ، وبالجملة لقد كان الزمن هو " زمن التفاوض "، والعصر هو عصر" الوفاق الدولى " ٠

من هذه المنطلقات تبلورت وتحددت قناعات نيكسون وكيسنجر ولكن هذا لم يكن يعنى بأى حال من الأحوال ، التفريط فى مصالح الولايات المتحدة الأمريكية ، أو البعد عن ثوابت سياستها الخارجية ، بل العكس هو الصحيح تماماً ، وسوف تحقق الإدارة الجديدة أهداف الولايات المتحدة الأمريكية وتحافظ على مصالحها ، إنما فى إطار من المرونة والتعاون Linkage من جانب الخصم أى الاتحاد السوفيتى[٣٢]٠

وجدير بالذكر ، أنه مثلما كان للولايات المتحدة الأمريكية فى ظل إدارتها الجديدة دوافعها لإعادة ترتيب العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، كان القادة

السوفييت ـ الذين توصلوا إلى حالة التعادل مع الخصم ـ يتوقون كذلك إلى علاقات مستقرة مع واشنطن مدفوعين إلى ذلك بتأثير التطورات الداخلية والخارجية [٣٣] .

ولقد دشنت اجتماعات القمة السوفيتية الأمريكية التى عُقدت فى السبعينيات ، بداية من قمة "موسكو فى مايو ١٩٧٢ " حتى قمة " فلاديفيوستك فى نوفمبر ١٩٧٤" ماعُرف بسياسة الوفاق، ولقد تزامن صدور قرارات القمة الأولى وقمة واشنطن يونيو ١٩٧٣ [٣٤] ، مع اضطرار مصر وسوريا لدخول الحرب مع إسرائيل ، بعد فشل جميع محاولات التسوية السلمية – كما سنرى ـ ويهمنا على كل حال أن أزمة الشرق الأوسط قبل حرب أكتوبر تفجرت فى وقت تم فيه التقارب الأمريكى ـ السوفيتى ولذلك يكاد ينعقد الإجماع على أن الكثير من السياسات و المواقف التى اتخذتها الولايات المتحدة الأمريكية قُبيل حرب أكتوبر بما فى ذلك الدبلوماسية السرية والمباحثات مع مصر، إبانها و بعد إندلاع القتال فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ . يصعب تفسيرها إلا فى ضوء سياسة الوفاق الدولى ، كما أن الكثير من وثائق الأمن القومى الأمريكى [٣٥] التى نُشرت مؤخراً لا يسهل فهمها إلا فى ضوء التحولات الدولية التى أوجزناها فى السطور السابقة .

على أية حال ، رحل جمال عبد الناصر ، يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، بعد أن وضع الخطوط العريضة لخطة الحرب القادمة مع إسرائيل[٣٦]. وبعد أن أوضح موقف مصر للإدارة الأمريكية الجديدة : " فمصر مستعدة لإنهاء حالة الحرب إذا ما كانت إسرائيل مستعدة للانسحاب، وإذا لم تكن راغبة فى الانسحاب؛ فإن تحرير الأرض من الاحتلال ليس فقط سياسة عبد الناصر بل هو واجبه ٠٠٠ كما أن مصر تربط بين إعادة الملاحة إلى قناة السويس وبين إيجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين" [٣٧] .

وعلى الرغم من رحيل عبد الناصر فإن موقف الإدارة الأمريكية الجديدة لم

يتغير ، حيث أشارت وثائق الأمن القومى الأمريكى ، وكذلك الشهادات والمذكرات المصرية والأمريكية ، إلى ثبات منطلقاتها الأساسية لمعالجة مشكلة الشرق الأوسط .

وإن كان شروع " أنور السادات " فى تغيير مبادئ وأُسس وتوجهات السياسة المصرية وإيماءاته المتكررة ومغازلته الصريحة وغير المباشرة للولايات المتحدة الأمريكية ، قد لفت انتباه القائمين على صناعة القرار بواشنطن [٣٨] إلى أنه لم يحدث تبدل فى سياستها تجاه المنطقة [٣٩] ٠ لقد أوحى السادات لإدارة نيكسون عن طريق عدد من الوسطاء [٤٠] أنهم سيجدون فيه شخصاً مختلفاً عن " عبد الناصر " ، وبالفعل اتخذ عدة خطوات لإثبات ذلك ، فاستمر فى تجميد الموقف العسكرى استجابة لمبادرة روجرز ، منذ أغسطس ١٩٧٠ ، وقدم مبادرة يوم ٤ فبراير ١٩٧١، أعلن فيها : أنه سيقوم بفتح قناة السويس للملاحة العالمية إذا ما وافقت إسرائيل على انسحاب جزئى لقواتها على الشاطئ الشرقى للقناه ، يتم ذلك خلال فترة وقف إطلاق النار لمدة شهر ، ويكون ذلك بمثابة مرحلة أولى على طريق جدول زمنى يتم بعد ذلك وضعه لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ ٠ وكانت هذه المبادرة تمثل تراجعاً عن الموقف المصرى الذى ظل متمسكاً بضرورة العودة إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ [٤١] ٠

وعلى الرغم من تجاهل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لمبادرته هذه، فإنه استمر فى تجميد الموقف العسكرى ، ولم يتوقف عن إرسال الإيماءات والإشارات التى تنقل لرجال الإدارة الأمريكية الجديدة ، رغبته فى الارتباط بعجلة السياسة الأمريكية بغية الوصول إلى حل سلمى يجنّبه ويجنّب المنطقة شلالات من الدماء التى ستسيل على جانبى قناة السويس ٠

وعلى الرغم من أن وزارة الخارجية المصرية رفعت إليه فى إبريل ١٩٧١، تقريرًا يحمل "تقييم موضوعى لموقف الولايات المتحدة الأمريكية ولجوهر سياستها تجاه مصر بعد ١٩٦٧ " أشارت فيه إلى أن " الدبلوماسية الأمريكية

تستهدف حلاً أمريكياً للصراع يضع المصالح الأمريكية فوق كل اعتبار آخر [٤٢]، فإنه استمر فى الاتجاه غرباً ، وقام فى منتصف عام ١٩٧٢ بالاستغناء عن الخبراء السوفييت، والمثير للدهشة أن هذا الإجراء لم يدفع أيضاً كلاً من نيكسون وكيسنجر إلى الالتفات بجدية إلى مشكلة الشرق الأوسط ، فلم تكن المشكلة قد وضعت ضمن أولويات السياسة الخارجية الأمريكية ، إذ كان كيسنجر لايعطى أولوية لمشكلة إلا إذا ما اشتعلت ، ولم تكن درجة حرارة أزمة الشرق الأوسط فى منتصف عام ١٩٧٢ قد وصلت إلى حد الاشتعال [٤٣] ٠ لذلك أدهشه طرد "السادات" للخبراء السوفييت دون أن يطلب مقابل من الولايات المتحدة وكانت مستعدة أن تعطيه الكثير ، واعتبرها كيسنجر مجازفة من السادات ومكرمة لايستحق عليها حتى مجرد الثناء، فالسياسة لاتعرف الأخلاق، وليس من مهمة الولايات المتحدة الأمريكية أن تتطوع بدفع ثمن لشىء تم تقديمه لها مجاناً ، ولم يشترط عليها أحد أن تدفعه [٤٤] .

لقد قدم أنور السادات تنازلاً جديداً على طبق من ذهب دون أن يساوم به أو عليه، ورغم استحسان الولايات المتحدة لهذه الخطوة ، فإنها استمرت عند قناعتها الأساسية بأن من حق إسرائيل أن تستمتع بانتصارها ، فليس هناك ما يدعوها هى وحليفتها ، إلى تقديم أى تنازلات ، بل إنه الوقت المناسب لفرض السلام الأمريكى على العرب Pax Americana وعليهم أن يتقبلوه صاغرين [٤٥].

علَّق " ويليام كوانت " على التنازلات التى قدمها السادات، وموقف الإدارة الأمريكية منه حتى بعد طرد الخبراء السوفييت بقوله " إن المصريين أصيبوا بخيبة أمل ، وفى أسوأ الفروض فقد جعل الأمريكيون من السادات أضحوكة ، إذ كان قد أعلن أن سنة ١٩٧١ ستكون سنة الحسم ، إما حرباً أو سلماً ، وكان قد تقدم فى فبراير بتنازلات غير مسبوقة ، ثم حاول مرة ثانية فى يونيو أن يلبى التوقعات الأمريكية ، كما أنه عرض علاقاته مع الإتحاد السوفيتى للخطر بانقضاضه على مؤيديه داخل مصر ، ومساعدته على سحق انقلاب شيوعى فى السودان فى يوليو سنة ١٩٧١، ولم يقتصر الأمر على أنه أخفق فى كسب

الأمريكيين إلى صفه، بل إن الأمريكيين كانوا يدرسون توقيع اتفاقيات جديدة للأسلحة مع إسرائيل، فقرر السادات وهو فى حالة إحباط وإذلال أن ينصرف عن فكرة التسوية المرحلية، وكان من نتيجة ذلك أن مر عامان والطريق الدبلوماسى مسدود"(٤٦).

على أية حال، أدى فشل التسوية المرحلية بشأن القناة إلى النهاية الفعلية لكل من روجرز وسيسكو باعتبارهما راسمى السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط(٤٧). كما أن ويليام سكرانتون كان قد انزوى هو الآخر، لارتكابه خطأ لم تغفره له الإدارة الأمريكية، وذلك عندما ردد أثناء زيارته للمنطقة مقولة نيكسون "بأن الإدارة الأمريكية ستكون أكثر توازناً مما مضى بالنسبة للشرق الأوسط"(٤٨).

"The United States will adopt an even - handed policy in the Middle East"

وهكذا انفرد هنرى كيسنجر بمشكلة الشرق الأوسط ، وكان يعتقد أنه إذا ما أُريد لأى مفاوضات أن تنجح فلا بد من أن تكون سرية ، وكان السادات هو الآخر يتحرق شوقاً لنقل أفكاره سراً ومباشرة إلى البيت الأبيض ، لذلك انطلقت الدبلوماسية السرية ، وبدأت سلسلة من المباحثات بين الولايات المتحدة الأمريكية ومصر فى فبراير ١٩٧٣ ، وكان الهدف الرئيس منها هو تحديد مواقف كل طرف ، وحسب رواية حافظ إسماعيل، الرجل الأول فى هذه المباحثات، فإن السادات كان يعول عليها كثيراً ، وكانت تختلف عن جولات جس النبض التى تصاعدت فى ربيع عام ١٩٧١ " ففى هذه المباحثات سيكون الحوار على أعلى المستويات بين البلدين والفشل فيها لايعنى إلا الحرب " (٤٩).

ولقد سافر الوفد المصرى إلى الولايات المتحدة ، ليقابل " نجم العالم " هنرى كيسنجر حسب وصف حافظ إسماعيل له ، إلا أنه قبل أن تبدأ المباحثات السرية التقى بالرئيس الأمريكى نيكسون يوم ٢٣ فبراير ١٩٧٣، وفى هذا الاجتماع اقترح الرئيس الأمريكى أن تتم المباحثات على مستويين : الأول : على

مستوى وزارة الخارجية و هو العلنى ، والثانى : على مستوى البيت الأبيض مع كيسنجر وسيكون سرياً ، لن تُحاط به وزارة الخارجية ، و لا الرأى العام ، و لن تُبلغ به إسرائيل ، وستستخدم فى هذه الاتصالات القناة السرية التى أنشأتها المخابرات الأمريكية CIA وممثلها فى القاهرة يوجين ترون، واقترح أن تتم دراسة شروط التسوية الشاملة و مراحل تنفيذها ، و أكد الرئيس الأمريكى للوفد المصرى ، على ضرورة التوفيق بين متطلبات السيادة ومتطلبات أمن إسرائيل(٥٠).

وبعد ذلك ، عقد الوفد المصرى ، جلسة مباحثات علنية فى وزارة الخارجية حضرها الوزير المصرى المفوض أحمد توفيق خليل، و رأس الاجتماع من الجانب الأمريكى وليم روجرز وشاركت فيه المجموعة المتخصصة فى مشكلة الشرق الأوسط ، و على رأسها جوزيف سيسكو(٥١) .

ولم يُطرح فى هذا الاجتماع أى أفكار جديدة ، بل إن وزير الخارجية أكد للوفد المصرى على ما هو معروف من الموقف الأمريكى سواء الذى تم الإعلان عنه أو الذى أُبلغ رسمياً إلى مصر ومؤداه:

- أن النزاع فى الشرق الأوسط مضر بمصالح الولايات المتحدة.
- أن الولايات المتحدة ترى ضرورة التفاوض بين مصر و إسرائيل.
- أن يكون التفاوض حول شرم الشيخ و المناطق المنزوعة السلاح و غزة.
- أن الولايات المتحدة لا تفكر فى حل يُفرض على الأطراف.
- أنها لا تتحدث عن انسحاب كامل، إذ لابد أن يفى الانسحاب بأمن إسرائيل.
- أن الولايات المتحدة تعتقد أن أغلب مطالب مصر يمكن أن تحصل عليها بالمباحثات .

- أن القرار٢٤٢ يصف المسار ، لكنه لا يحدد نقطة الوصول.
- على مصر البحث عن صياغة لبدء المباحثات تكون لها فرص النجاح.
- تؤيد الولايات المتحدة خطوات مرحلية ترتبط بالقرار٢٤٢ [٥٢].

ولقد أرجع حافظ إسماعيل استمرار الموقف الأمريكى على ما كان عليه عام ١٩٧١ إلى ضعف مركز مصر التفاوضى[٥٣] ، ثم دارت المباحثات السرية بين الوفد المصرى برئاسة حافظ إسماعيل، مستشار الرئيس السادات لشئون الأمن القومى وهنرى كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى ، فى مزرعة ريفية بولاية كونيكتيكت تبعد عن نيويورك بحوالى الساعة وشارك فى الاجتماعات من الجانب الأمريكى بيتر رووما ن و هارولد سوندرز من مجلس الأمن القومى، ومن الجانب المصرى الدكتور حافظ غانم والدكتور عبد الهادى مخلوف والمستشاران أحمد ماهر السيد وإيهاب وهبه [٥٤] واستغرقت المباحثات ثلاث جلسات امتدت حتى ظهر يوم ٢٦ فبراير١٩٧٣[٥٥].

وخلال المناقشات ، تبلور الهدف من المباحثات السرية فى إنشاء إطار للتفاوض بين مصر وإسرائيل [٥٦].

ولقد تمسك الوفد المصرى بضرورة حل النزاع المسلح القائم على الحدود تمهيداً لتحقيق التسوية السياسية النهائية و" تطبيع " الأوضاع فى المنطقة كما تمسك بأن الحل يجب أن يستند إلى قرارات الأمم المتحدة وتفسيرات الدول الكبرى للقرار٢٤٢ وكذلك للاتفاقات الدولية و كلها تعترف بالحدود الدولية لدول المنطقة وبحقوق الفلسطينيين السياسية والإنسانية[٥٧].

وطالب الوفد المصرى بضرورة خفض الدعم الأمريكى لإسرائيل، كما اقترح أن يتم علاج المشكلة برمتها على ثلاث مراحل :-

المرحلة الأولى: فض الاشتباك على الجبهات العربية - الإسرائيلية .

المرحلة الثانية : تسوية القضية الفلسطينية باعتبارها الأساس .

المرحلة الثالثة : قيام السلام النهائى[٥٨].

وتناول الوفد المصرى كذلك المسائل الإجرائية فأوضح :-

● أن الهدف من المرحلة الأولى هو التوصل إلى رؤوس موضوعات الاتفاق التى تفسر القرار ٢٤٢ تفسيراً مقبولاً ، خاصة بالنسبة للأراضى (السيادة - الانسحاب - الأمن).

● عندما تنتهى مصر من وضع "رؤوس موضوعات الاتفاق " يمكن أن يمثل ذلك نقطة البدء بالنسبة للجبهات الأخرى، وتتوقع أن تتوصل مصر وسوريا والأردن إلى اتفاق مع إسرائيل حول "رؤوس موضوعات الاتفاق "على الجبهتين .

● فيما يتعلق بإجراءات التفاوض ، طرح الوفد رأيه فى أن يبلغ آراءه أولاً للجانب الأمريكى ثم يستمع إلى رأى الجانب الإسرائيلى ، ثم يقوم الجانب الأمريكى بوضع رؤوس موضوعات الاتفاق للتوفيق بين وجهتى النظر.

● أوضح الوفد المصرى ثقته فى الولايات المتحدة الأمريكية وقدرتها على القيام بدور أساسى للتوصل إلى تسوية للنزاع العربى - الإسرائيلى وأن لديها إمكانيات كافية " لإقناع "إسرائيل إذا أرادت حقاً التقدم نحو التسوية[٥٩].

وبالإضافة للمسائل الإجرائية ، نوقشت الجوانب الموضوعية لتحقيق التسوية السياسية، فتناول الوفد المصرى " المسالة الفلسطينية " وأعرب عن ضرورة " كفالة حق تقرير المصير لأهالى الضفة الغربية وغزة " تحت إشراف الأمم المتحدة وداخل خطوط عام ١٩٤٩ .

كما طالب بضرورة تحقيق تسوية مقبولة لمشكلة اللاجئين ، وأكد على عروبة مدينة القدس "القديمة " وعدم التنازل عن السيادة العربية عليها ، كما تناول السلام بمعناه الشامل ، وإنه لا يمكن تحقيقه إلا بتسوية قضية فلسطين ، وفى هذه الحالة من الممكن قيام علاقات بين إسرائيل وجيرانها[٦٠].

وعرض الوفد المصرى مسالة " السيادة والأمن " وأكد على أن الأمن يجب

أن يتحقق لمصلحة الطرفين ، وأن لايترتب على الإجراءات المقترحة أى امتيازات استراتيجية لطرف دون الآخر[٦١] ٠

واشتملت إجراءات الأمن التى اقترحها الوفد المصرى على :-

أولاً : إنشاء مناطق منزوعة السلاح تحت إشراف دولى ٠

ثانياً : انتشار قوات دولية فى مناطق خاصة ولمدة محدودة ٠

ثالثاً : تقديم ضمانات القوى الكبرى للاتفاق الذى سيعقد وكذلك ضمان مجلس الأمن[٦٢] ٠

على أية حال ، طرح الوفد المصرى وجهات نظره ، مدعمة بمقدمة تاريخية وأعلن رغبة مصر فى السلام ٠

وقد علّق " محمد حسنين هيكل " على ما طرحه الوفد المصرى ، بأنه تجاوز الكثير من الخطوط المقررة من الناحية الاستراتيجية ، كما أنه من الناحية التكتيكية لم يكن التوقيت الذى عُرضت فيه هذه الأفكار ملائماً[٦٣] ٠ لقد طرح الوفد رداً على سؤال " كيسنجر " حول مفهوم مصر للسلام الشامل ، أفكاراً كثيرة لم يكن من المناسب أن تُطرح فى مثل هذه المباحثات الأولية ، كتبادل السفراء ، وإنهاء حالة الحرب وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لاعتبارات سياسية أو اقتصادية وحرية المرور فى الممرات المائية ، وإيقاف نشاط الأفراد، والمنظمات الموجهة ضد إسرائيل وكذلك أفكار حول مناطق منزوعة السلاح ، ووقف المقاطعة الاقتصادية ٠٠٠٠ الخ[٦٤] ٠

أما كيسنجر فبدأ بتوضيح أسلوبه فى العمل حيث أكد :-

- أن أهم أسباب فشل المحاولات السابقة لإيجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط كانت العلانية وتغليب النظريات على التطبيق ، واستخدام الاستراتيجيات العملية٠

- أن الهدف من المباحثات الحالية هو تبادل الآراء ومحاولة القضاء على

الجمود ، ودراسة الموقف المصرى.

- أن المسألة ستأخذ وقتاً طويلاً .

- أنه لا يمكن إحراز إلا القليل قبل الانتخابات الإسرائيلية المحدد لها أكتوبر ١٩٧٣ [٦٥] .

وحسب ما ورد فى محاضر الاجتماع وفيما سجله حافظ إسماعيل فى مذكراته ، كانت أهم الأفكار التى طرحها كيسنجر على الوجه الآتى : ـ

أولاً : أنه ليس صحيحاً أن الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على عمل شىء مع إسرائيل ، وأن ما يمكن تحقيقه سوف يستغرق وقتاً طويلاً ، وإنه يجب إعطاء إسرائيل " حق التعليق "على ما يتوصل إليه " الطرفان المصرى والأمريكى " إذ لايمكن أن يُفرض عليها ما يُتفق عليه .

ثانياً : إن قدرة الولايات المتحدة على " إقناع " إسرائيل بما يُتفق بشأنه ، إنما تتوقف على قدر ما يتحقق من " تغيرات ملموسة " فى المواقف العربية، وأن هذا هو "المفتاح " لخطوات ذات مغزى ، فإن ذلك سيعطيه كيسنجر المبرر والأساس المعنوى فى مواجهة الداخل الأمريكى للنظر فى ممارسة الضغط على إسرائيل.

ثالثاً : إن الولايات المتحدة لا تريد ولا يمكن أن تخلق موقفاً يزيد من احتمالات الحرب ، بأن تعزل إسرائيل سياسياً أو تضعفها عسكرياً إلى درجة أن يحاربها جيرانها والسوفيت، ومع ذلك فهى مستعدة من ناحية المبدأ للنظر فى ممارسة نفوذها بطرق أخرى لا يمكن تجاهلها[٦٦].

رابعاً : أكد كيسنجر على ما أسماه " بالحل المرحلى" مع الالتزام بأن تبدأ المباحثات للتسوية الشاملة بمجرد انتهاء الحل المرحلى.

خامساً: لم يُحبذ إدارة حوار بين الولايات المتحدة و كل من مصر و الاتحاد السوفيتى ، فمن ناحية سيتسبب ذلك ـ حسب رأيه ـ فى خلق بلبلة أو فوضى

شاملة Total chaos ومن ناحية أخرى سيحتم ذلك دعوة إسرائيل للمشاركة فيه والولايات المتحدة لا تريد خداع أحد ، ولكن يجب الاتفاق على ما يقال للسوفيت بهدف تنسيق الخُطى(٦٧).

سادساً: عارض الربط بين إنهاء حالة الحرب بمسألة الاعتراف بإسرائيل؛ على أساس أن شرعية إسرائيل لايجب أن تكون محل نزاع ٠

سابعاً : أكد على مسألة التوفيق بين السيادة والأمن ، بل أن ذلك يمثل "الشرط المُسبق " لحل مصرى ـ إسرائيلى ، فانسحاب إسرائيل سيترتب عليه حسب تقديرها التخلى عن بعض ضمانات الأمن أى أمنها ، وهى ترى أن الوضع الحالى ـ أى بعد ضمها سيناء والجولان ـ أكثر اتفاقاً مع مصلحتها ، فليس هناك أفضل من قناة السويس ، ونهر الأردن كخطوط دفاعية لإسرائيل.

وقبل أن ينتهى الاجتماع كانت المفاجأة المثيرة التى فجرها هنرى كيسنجر حول ما أسماه "بإجراءات الأمن المؤقتة " وكان يقصد بها " أنه مع إعادة السيادة المصرية على كامل أراضيها سوف تستمر بعض ترتيبات الأمن فى بعض المناطق وضرب أمثلة ، كأن تستمر الرقابة الجوية لإسرائيل فوق سيناء ، ويستمر الوجود العسكرى فى منطقة شرم الشيخ ، وكذلك إنشاء محطات إنذار جوى داخل الحدود المصرية" (٦٨).

ذكر حافظ إسماعيل انه ولكى يخفف كيسنجر من اقتراحه المثير ، أوضح أن المطلوب هو قبول مصر " لترتيبات خاصة " يمكن تصورها خلال الفترة مابين حالة الحرب وإقامة السلام، وعندما يتحقق السلام الشامل ستنتهى بعض التدابير غير المعقولة " بينما سيستمر حتما البعض الآخر" (٦٩).

وعلى الرغم من صدمة الوفد المصرى ، إلا أن حافظ إسماعيل اقترح الاستمرار فى المباحثات السرية وعدم التفريط فى أسلوب الدبلوماسية السرية واقترح مناقشة ثلاث مسائل فى الاجتماع المقبل :ـ

أولاً : التعريف المحدد لمضمون " إنهاء حالة الحرب " ٠

ثانياً : الترتيبات العملية لتحقيق الأمن ٠

ثالثاً : توقيت الاعتراف بإسرائيل [٧٠] ٠

وتجدرالإشارة إلى أن إسرائيل كانت تراقب المباحثات السرية بين " حافظ إسماعيل وكيسنجر " وكانت تشك فى أنها جزء من حملة خداع مصرية [٧١] أو أن مصر كانت تحاول بواسطة " دق إسفين " بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية [٧٢] إلا أن كيسنجر الذى كان مغرماً بأسلوب الدبلوماسية السرية والذى أُعجب بالأفكار التى حملها من مصر حافظ إسماعيل حيث وجد فيها أشياء مهمة بدد هذه الشكوك ، وأكد للسفير الاسرائيلى فى واشنطن إسحق رابين أن حافظ إسماعيل على دراية واسعة بموضوع الشرق الأوسط أكثر من أى مصرى آخر ألتقى به ، وإنه عرض الموضوع بعلم وحكمة وبأسلوب لطيف كذلك"[٧٣] .

ولقد نقل كيسنجر للجانب الإسرائيلى نتيجة مباحثاته مع الجانب المصرى على النحو التالى :-

أولاً: أن مصر على استعداد للاعتراف بحق إسرائيل فى المطالبة بضمانات أمنية عدا مسالة السيادة ، وعنده فإن هذا موقف مصرى جديد يفتح أفاقاً وإمكانيات لم تكن قائمة من قبل٠

ثانياً: طمأن كيسنجر الطرف الإسرائيلى ، بأن مصر من الممكن أن توافق على طلب إسرائيلى بمراقبة وحدات عسكرية إسرائيلية فى سيناء ، وفى أجزاء وأماكن مختلفة وليس فى شرم الشيخ فقط ، كما طمأنهم ، أنه ليس من المستبعد الحصول كذلك على موافقة مصر على التغيير فى مسالة السيادة وتعديل الحدود ، على الرغم من أن الفجوة فى مواقف مصر وإسرائيل حول الموضوع الإقليمى ـ الأمنى كبيرة للغاية [٧٤]٠

ثالثا: وحول الثمن الذى تطلبه مصر من إسرائيل ، أكد كيسنجر لإسحق رابين وجولدا مائير أن مصر تطالب بانسحاب شامل من كافة المناطق التى استولت عليها إسرائيل فى حرب الأيام الستة، كما تطالب بحل شامل للقضية الفلسطينية [٧٥].

ولقد تمسك الطرف الإسرائيلى بموافقته على الاشتراك فى محادثات "عن قرب" حول تسوية جزئية لفتح قناة السويس ، وانسحاب إسرائيلى محدود[٧٦] . الأمر الذى دفع كيسنجر إلى التأكيد على أن الأساس الذى ارتكزت عليه مباحثاته مع حافظ إسماعيل هو " السيادة مقابل الأمن" وأنه على إسرائيل أن تعترف بكامل السيادة المصرية على كافة سيناء ، وأن توافق مصر على تواجد عسكرى إسرائيلى فى نقاط معينه فى سيناء ، وأنه من المحتمل أن تدعو الحاجة إلى تغطية الوجود العسكرى الإسرائيلى بوجود مدنى [٧٧] .

وانتهى كيسنجر مع الطرف الإسرائيلى إلى ضرورة استمرار أسلوب الدبلوماسية السرية مع مصر ، طالما أنه أحرز بعض التقدم .

إلا أن هذا التقدم الذى استشعره الجانب الإسرائيلى ، لم تستشعره مصر ، فحسب شهادة حافظ إسماعيل، رجل مصر الأول فى هذه المباحثات السرية ، كان تقدير السادات مختلفاً تماماً ، فلما عرض عليه حافظ إسماعيل، تقريره عن اجتماعاته مع كيسنجر وعندما وصل إلى ما أكده مستشار الأمن القومى ، من أن قدرة الولايات المتحدة على الإقناع ، بل ورغبتها فى أن تدعو بقوة لهذا الحل ،" تتوقف على قدر ما تستطيع أن تشير إليه من تغيرات ملموسة فى المواقف العربية أو المصرية .. هذا هو المفتاح " يقول حافظ إسماعيل إنه استشعر أن السادات فى طريقة إلى اتخاذ قرار الحرب ، حيث ترجم رسالة كيسنجر على أن مصر مطلوب منها المزيد من التنازلات [٧٨] .

وأكد حافظ إسماعيل كذلك أنه تحديداً منذ ٢٦ مارس ١٩٧٣ أصبح معروفاً أن السادات قد قرر الحرب [٧٩] بعد أن أدرك أنه لا خلاص إلا عن طريق الحل

وأنه لم يعد هناك مناص من طريق الحرب بل لعل الحرب، هى الطريق إلى الحل [٨٠] .

ومما زاد الطين بلة أن نيكسون وافق على صفقة أسلحه جديدة لجولدا مائير وذلك عندما قدمت إلى واشنطن يوم ٢٨ فبراير ١٩٧٣ ولم يكن حافظ إسماعيل قد وصل إلى مصر بعد، عندما أعلن عن الصفقة لذلك صُدم عندما نشرت بعض الصحف أخبارها ، وحاول كيسنجر أن يُكذب الخبر إلا أنه سرعان ما تأكد لمصر صحته[٨١].

ويسترعى الانتباه أن السادات لم يُخف اعتزامه شن الحرب على إسرائيل؛ ففى أوائل ١٩٧٣ صرح للصحفى الأمريكى " أرنود دى بورتشجريف"Arnoud De Borchgrave مراسل جريده نيوزويك بأن الوقت قد حان لإحداث صدمة إلا أن هذا التصريح لم يستفز أحداً فى الإدارة الأمريكية ، ولم يستطع أى شخص مهتم بشئون الشرق الأوسط ، أن يجزم بأن السادات قد قرر بالفعل خوض الحرب وعبور خط بارليف [٨٢] .

وفقا لما ورد فى التقرير الذى تناول تصريح السادات لبورتشيجريف فإنهم فى الإدارة الأمريكية ، أضافوه لسلسلة من الإجراءات التى رصدتها المخابرات الأمريكية كتحريك الصواريخ أرض ـ جو، والقاذفات على الجبهة المصرية، وكحالة التأهب القصوى فى القوات الجوية المصرية ، فضلاً عن التقارير التى وردت حول التخطيط للحرب ، واستراحوا إلى أن مصر لن تقوم بعمل عسكرى على الأقل خلال الأسابيع الستة التى أعقبت هذا التصريح [٨٣] .

ومن ناحية أخرى ، فإنه على الرغم من تفكير السادات فى الحرب، إلا أنه لم يُغلق الباب أمام "الدبلوماسية السرية " خاصة القناة التى أوصلته مباشرة إلى البيت الأبيض لذلك أصدر تعليماته لحافظ إسماعيل باستمرار الاتصال مع كيسنجر وبالفعل أرسل إليه حافظ إسماعيل أوائل شهر إبريل ببعض المسائل التى نُوقشت فى الجولة الأولى " فبراير ١٩٧٣" من ذلك :ـ

- اقتناع مصر بإيجابية موقف الرئيس نيكسون من حيث احترام سيادة مصر على أراضيها٠

- رفض مصر تقديم أى تنازلات أو تبنى أى مواقف سياسية جديدة ، بدعوى أن ذلك يغرى إسرائيل بالتحرك نحو التسوية السياسية ، فقد ثبت فشل هذا الأسلوب ٠

- أن مصر تثق فى أن الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع الضغط على إسرائيل(٨٤) ٠

وخلال شهر إبريل أيضاً أعد روجر ميريك Roger Merick مدير مكتب المخابرات والأبحاث التابع لوزارة الخارجية ، تقريراً جديداً تنبأ فيه باحتمال انفجار الموقف على الجبهة المصرية ـ الإسرائيلية خلال الستة أشهر القادمة ، أى فى أكتوبر ١٩٧٣(٨٥). ولعل هذا التقرير وغيره من التطورات التى وقعت بعد انتهاء جولة المباحثات السرية الأولى فبراير١٩٧٣، قد ولدت اهتماماً أكبر خاصة داخل أروقة وزارة الخارجية الأمريكية للبدء بجولة و محاولة جديدة ، لكن الأهم أن الدبلوماسية السرية تحركت فى محاولة ستكون الأخيرة (٨٦) ٠

ففى ٢٠ مايو ١٩٧٣، عُقد اجتماع حضره من الجانب الأمريكى كل من هنرى كيسنجر والفريد أثرتون نائب مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا ، وهارولد سوندرز مسئول أول فى مجلس الأمن القومى وبيتر رودمان مسئول أول كذلك فى مجلس الأمن القومى ، كما حضر إيرين ديروس ليدوّن محضر الاجتماع ، ومن الجانب المصرى شارك فى الاجتماع بالإضافة إلى حافظ إسماعيل كل من السفير جمال الدين بركات من مكتب الرئيس السادات والدكتور عبد الهادى مخلوف مدير مكتب حافظ إسماعيل والمستشارين أحمد ماهر السيد وإيهاب سعيد وهبه مساعدى حافظ إسماعيل وتمت المحادثات خارج مدينة باريس (٨٧) ٠

ويبدو أن كيسنجر استشعر تشاؤم وعدم اهتمام حافظ إسماعيل بالمضمون

من البداية لذلك عاد يكرر أن مسألة الوصول إلى حل لمشكلة الشرق الأوسط ليست سهلة لأن المشكلة صعبة ومعقدة ، وأشار إلى أن مصر وبعض الدول العربية تستعد للدخول فى حرب جديدة مع إسرائيل، وإنه توجد مؤشرات كثيرة على ذلك : كتحريك الصواريخ SA6 أرض ـ جو إلى مواقع إطلاق ضمن ٢٠ ميلاً من قناة السويس وإعداد برنامج لتحويل أنظمة الصواريخ SA2 إلى طراز أكثر تطوراً ومن ذلك : نقل نحو ٣٠ مقاتلة نفاثة من طراز " ميراج ٥ " التى تملك إمكانات شن هجوم أرضى من ليبيا إلى مصر [٨٨] ٠ كذلك تحريك ١٦ قاذفة TU من أسوان إلى القاهرة ، وهذه الطائرات مجهزة لحمل صواريخ جو ـ أرض ، وأيضاً فرض حالة الاستنفار القصوى على سلاح الجو المصرى منذ ٢٠ مارس ، وتغيير مواقع أسراب جوية مصرية عديدة بالإضافة إلى ما ورد فى التقارير الموثوق فى مصدرها عن أن المصريين يخططون لتنظيم حظر نفطى ، تقوم به الدول المنتجة للنفط ضد الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية فى حال اندلاع الحرب [٨٩].

وفى محاولة لتثبيط همة مصر و تخويفها من إتخاذ قرار بالحرب ، أشار كيسنجر إلى أن السادات ومستشاروه ، يعلمون أن حظهم من احتمال النجاح العسكرى ضئيل فى أحسن الأحوال وأنه ممكن حدوث كارثة جديدة قد تطيح بنظام السادات بدلاً من أن تنقذه من مأزقه [٩٠]٠ ثم طرح مستشار الأمن القومى الأمريكى ، رأيه فى الاقتراح الذى تقدم به حافظ إسماعيل عن" الخطوط العامة العريضة للاتفاق " وأبدى إعجابه به وإمكانية السعى لتسوية مؤقتة تؤدى إلى تسوية عامة[٩١]٠

ووفقاً لمحضر الاجتماع ، أبدى حافظ إسماعيل تشاؤمه من إمكانية أن تُبدى إسرائيل مرونة حتى لو جاءت الاقتراحات من الولايات المتحدة : "ما دامت تشعر أنها قادرة على المحافظة على مواقفها بطول الخطوط الحالية ، فنحن وبكل أمانة لا نعتقد أنها ستنسحب "[٩٢] وتطرق حافظ إسماعيل كذلك إلى

المساعدات الأمريكية لإسرائيل التى لا يحصل عليها حلفاء الولايات المتحدة ذاتهم ، «ومعنى استمرار المساعدات العسكرية ، أن إسرائيل ستتحدى خلال العامين المقبلين أى توجه نحو السلام و لماذا السلام طالما تساعدها الولايات المتحدة على التفوق العسكرى والصناعى ؟! وحتى فيما يتعلق باستخدام الأسلحة الذرية٠٠٠"[٩٣] .

وعندما اعترض كيسنجر على مسألة الأسلحة النووية ،أكد له حافظ إسماعيل أن مصدره حول هذا الموضوع هو التقارير التى أصدرتها مؤسسة راند Rand فى كاليفورنيا ، ثم أكد على أن مصر من جانبها لا تملك حلاً معقولاً ، وذكّر كيسنجر بالمرونة التى أبدتها مصر من قبل وكيف أنها طردت الخبراء السوفيت وتوقعت أن ترد الولايات المتحدة على تلك الخطوة ببدء نهج جديد إزاء موضوع توازن القوى ، ثم اتهم إسرائيل بأنها تُغَلق الطرق أمام الحل السلمى[٩٤] .

ولقد نفى كيسنجر حدوث تعاون نووى من أى نوع ، بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وأكد على أن الولايات المتحدة لاتوافق على استمرار احتلال إسرائيل للأراضى العربية إلا أن مسالة الحدود النهائية يجب أن تنبع من المفاوضات المباشرة أو غير المباشرة بين العرب وإسرائيل[٩٥].

على أية حال انتهى الاجتماع دون الوصول إلى نتائج محددة ، بل إن هنرى كيسنجر أبدى للوفد المصرى ، اعتقاده بأن المأزق الحالى سوف يؤدى إلى استمرار الوضع الراهن[٩٦].

لقد كان على مصر أن تدرك ، أو إن شئنا الدقة أن تتأكد، مما انتهت إليه فى فبراير من أن الولايات المتحدة لاتستطيع أن تقدم إلا القليل من المساعدة ، مادامت مصر مهزومة ، وكان عليها ألا تتوقع أن تكسب على طاولة المفاوضات ماخسرته فى ميادين القتال[٩٧].

وفى تقييمه لما جرى فى مباحثات جولة مايو ١٩٧٣ ، قال حافظ إسماعيل " كان الأمريكيون على مستوى البيت الأبيض ، يعودون تدريجياً إلى الصياغة التى تبنتها الخارجية الأمريكية خلال العامين السابقين ، وهو مارفضته مصر وذلك بمحاولة فرض إطار فضفاض لتسوية شاملة ، يتحقق من خلالها اتفاق مرحلى يستهدف إعادة فتح قناة السويس ، ويقترن بإعلان أمريكى، وربما بإعلان إسرائيلى مماثل ، يعبر عن تمنيات بتسوية نهائية ... وفى إطار هذه التسوية الشاملة ، كان على مصر أن تقبل ولو فى ظروف انتقالية قد تمتد لسنوات، بترتيبات أمن تتضمن عملياً استمرار وجود عسكرى إسرائيلى داخل الأراضى المصرية ، بعد إعادتها إلى السيادة المصرية ويصبح على الحاكم المصرى فى سيناء ، أن يتعامل مع القائد العسكرى الإسرائيلى فى منطقة يستمر فيها الوجود العسكرى الإسرائيلى .... "[٩٨].

وعلى الطرف الآخر ، كان الانطباع الذى خرج به هنرى كيسنجر ونقله إلى الرئيس نيكسون أن الوفد المصرى ، لم يكن يرغب فى بحث القضايا المعلقة من جولة فبراير ، وأن حافظ إسماعيل إنما جاء ليتعرف فقط على النوايا الأمريكية وإن أدرك تردد الولايات المتحدة بشأن الدور الذى يمكن أن تقوم به ، وأنه ليس واضحاً أن البيت الأبيض قرر أن يلقى بثقله وراء جهد يرمى إلى تحقيق تسوية سلمية [٩٩].

كما نقل كيسنجر للرئيس الامريكى :" أنه قد نشأ انطباع عند حافظ إسماعيل منذ محادثات فبراير ١٩٧٣، بأنه مطلوب من مصر طرح موقف جديد، يمكّن الولايات المتحدة ، من محاولة دفع إسرائيل للتحرك، وحتى فى حالة طرح مصر لموقف جديد فالولايات المتحدة غير متأكدة مما إذا كانت إسرائيل ستنسحب أم لا، وحسب رأى الوفد المصرى لم تُبدِ إسرائيل أى علامة على أنها مهتمة بالسلام" [١٠٠].

وفى تعليقه على موقف مصر من تزويد الولايات المتحدة لإسرائيل بالأسلحة

خاصة فى أعقاب جولة المباحثات الأولى ، أكد كيسنجر للرئيس الأمريكى أن قرار الاستمرار فى تزويد إسرائيل بالطائرات خلال عامى ١٩٧٤ و ١٩٧٥ أوحى للمصريين بأمور كثيرة ، كما أن القرار الخاص بتزويد إسرائيل بالمساعدة التكنولوجية فى مجال الصناعات العسكرية " قرار خطير" لأنه سيحرر إسرائيل من النفوذ الأمريكى، وأن تقديم الولايات المتحدة ٥٠ مليون دولار لتمويل استيطان المهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفيتى إلى إسرائيل يعزز بدرجة أكبر نمو إسرائيل [١٠١].

كذلك لم يفته أن ينقل إلى نيكسون رأى الوفد المصرى ، حول مساواة العمليات التى تنفذها المنظمات الفلسطينية الراديكالية، وغارة إسرائيل على بيروت، فهى مساواة غير عادلة بالمرة ، كما أن مصر لاحظت كيف أرغم الضغط الذى مارسه الكونجرس الأمريكى ، إدارة نيكسون على أن تمارس رغماً عنها ضغوطاً على الاتحاد السوفيتى بخصوص هجرة اليهود السوفييت ، و دفعتها هذه الملاحظة إلى التساؤل عما إذا كانت الولايات المتحدة قادرة على أن تلعب على نحو حر دوراً فى الشرق الأوسط [١٠٢]. كما لم يفته أن ينقل إليه ،عدم استبعاد مصر لوجود تعاون نووى بين الولايات المتحدة الأمريكية و إسرائيل ، كما أنها تشعر بأن العامل الأكثر أهمية الذى شجع إسرائيل على العناد يتمثل فى حقيقة أن الولايات المتحدة ملتزمة بالدفاع عن استيلاء إسرائيل بالقوة على الأراضى ، و سيستمر احتلالها للأراضى إلى أن يستجيب العرب لمطالبها [١٠٣] وإنه ما لم تتبع الولايات المتحدة الأمريكية نهجاً أكثر توازناً ، يصعب على المرء فهم كيفية تحقيق أى تقدم ، أما إذا كانت الولايات المتحدة مستعدة لتغيير نهجها الخاص "بتوازن القوى " فيما يخص ضمان هيمنة إسرائيل الطاغية فربما تتحقق بعض النتائج الايجابية[١٠٤].

لقد كانت قناعة كيسنجر حتى قبل أن تبدأ الجولة الأخيرة للمباحثات السرية أن مصر ليس أمامها إلا أن تختار بين :

قبول اتفاق مؤقت ، سيصبح من المؤكد و لحد كبير اتفاقاً نهائياً أو التحرك نحو اتفاق نهائى ، وهذا يتطلب تنازلات هائلة من جانبها٠

وفى حال إذا لم يكن أى من النهجين مقبولاً ، فما الذى يبقى أمام مصر سوى العمل العسكرى ؟ (١٠٥).

يذكر كيسنجر أنه أكد لحافظ إسماعيل فى حديث خاص على مجموعة من الحقائق المهمة فى مقدمتها :

أولاً : أن الولايات المتحدة لا تحاول استغلال النزاع العربى ـ الإسرائيلى لتحقيق هدفاً عالمياً ، وأنها مستعدة للعمل مع مصر من أجل سلام عادل.

ثانياً :إن أكثر ما تتوقع الولايات المتحدة أن تقنع إسرائيل بقبوله الآن ، هو أن تستعيد مصر "سيادة إسمية " فى سيناء مع وجود أمنى إسرائيلى انتقالى فى المواقع الرئيسة ، وربما لا تكون هذه ممارسة كاملة للسيادة ، و لكنها ستضع الأساس لمبدأ السيادة القانونية ٠

ثالثاً : ربما يحل عام ١٩٧٤، قبل أن يتحقق تقدم حقيقى فى مسالة الحدود المصرية ـ الإسرائيلية٠

رابعاً : كلما طال استمرار الوضع الحالى ، زاد خطر تحوله إلى أمر واقع ووضع دائم٠

خامساً: هناك ميزة فى بدء حركة إسرائيلية إلى الوراء ، وإذا أمكن بدء عملية تفاوض ستتمسك بها الولايات المتحدة لما وراء اتفاق المرحلة الأولى للإنسحاب من قناة السويس ، وستُعلن الولايات المتحدة ذلك ، كما سيكون هناك التزام مماثل من جانب إسرائيل ، وليس مستبعداً إجراء مفاوضات بشأن اتفاقية على القناة واتفاق شامل فى وقت واحد (١٠٦)٠

كذلك كان من رأى كيسنجر أن الولايات المتحدة لابد وأن تقوم بمحاولة لوضع المبادئ العامة لاتفاق يؤدى لبدء المفاوضات ، و إنه يجب تجنب

التفاصيل التى قد تؤدى إلى ضغوط داخلية و إسرائيلية ، وإنه قد يكون من المفيد العمل مع الاتحاد السوفيتى خلال القمة من أجل وضع تلك المبادئ[١٠٧].

وبالطبع لم يكن حافظ إسماعيل قادرًا على تقديم أى تنازلات، لذلك فشلت الجولة الثانية ، يقول كوانت " أن النغمة التى كانت مبشرة بالخير فى فبراير ١٩٧٣كانت مفتقدة فى مايو١٩٧٣٠٠٠" [١٠٨].

وعندما انعقدت قمة واشنطن بين نيكسون وبريجينيف ٢٠ – ٣٠ يونيو ١٩٧٣ ، جاء البيان المشترك فى الجزء الخاص منه بالشرق الأوسط ، على أن الطرفين قد عبرا عن قلقهما العميق للموقف فى المنطقة ، وأنهما اتفقا على بذل جهودهما لتشجيع تسوية سلمية فى أسرع وقت ممكن ، تتفق مع مصالح جميع دول المنطقة وتتواءم مع استقلالها وسيادتها ، وتأخذ فى الاعتبار المصالح المشروعة لشعب فلسطين [١٠٩] ٠ وأعلن كيسنجر فى المؤتمر الصحفى أن قضية الشرق الأوسط من أكثر المشاكل تعقيداً وأن القوتين العظميين لم تتفقا على الخروج بحل لها ، وأن الأمريكيين يرون الفصل بينهما وبين مشكلة التنافس بين القوى العظمى بحيث تتجنبا التورط بطريقة معقدة فى الصراع [١١٠].

ولقد أعرب ليونيد بريجينيف عن قلقه وخوفه من اندلاع حرب جديدة فى الشرق الأوسط ما لم تشجع الدول الكبرى إسرائيل ، والدول العربية ، على الدخول فى مفاوضات تنهى الوضع الشبيه بوضع الحرب [١١١].

وكان رأى نيكسون أن المشكلة الأساسية هى كيفية بدء المحادثات ، وإنه بمجرد أن تبدأ ، لابد من الضغط على الطرفين ، ورغم إلحاح بريجينيف فإن الجانب الأمريكى صمم على سياسة الخطوة خطوة ، ورفض مبادئ يمكن الاتفاق عليها، كما رفض الوصول إلى إتفاق شفوى " أو اتفاق جنتلمان " وأعرب نيكسون عن أن المشكلة معقدة ويجب أن تواجه بطريقه برجماتية [١١٢].

وتجدر الإشارة إلى أن وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكى كان يؤيد مبادرة دبلوماسية حول الشرق الأوسط ، تدفع بها الولايات المتحدة لتمنع وقوع الحرب، وبعد قمة نيكسون ـ بريجينيف أعد روجرز اقتراحاً بإجراء محادثات سلام سرية بين مصر وإسرائيل ، إلا أن جهود روجرز ولدت ميتة ، فلم تلق قبولاً ، لا من نيكسون ولا من كيسنجر حيث اتفقا على ألا يمنحوه شرف تحقيق أى تقدم فى مشكلة الشرق الأوسط [١١٣].

كان روجرز يعتقد أن الوقت مناسب لتحرك دبلوماسى بشأن تسوية عربية ـ إسرائيلية ، طالما أن هناك اتفاق بين الولايات المتحدة وبين السوفييت على منع نشوب حرب جديدة فى الشرق الأوسط .

كما كان يرى أن السادات يوشك أن يلجأ إلى الحرب ، على الرغم من أن هذه المجازفة التى ستكون حتماً مكلفة له ، سوف تنمو كلما استمر المأزق لكنه فى الوقت الحالى سيواصل استراتيجية الدبلوماسية السرية ساعياً إلى تعبئة التأييد فى الأمم المتحدة ، والرأى العام العالمى للموقف المصرى ، كما أنه سيضغط على الدول العربية التى تربط الولايات المتحدة بها مصالح كثيرة ومهمة ، خاصة المملكة العربية السعودية لتضغط عليها حتى تعدل ما يعتقد العرب جميعاً إنه سياسة دعم كامل منها لإسرائيل [١١٤] .

ولقد حذر روجرز من أنه إذا ما انفجرت حرب جديدة فإن الخطر على المصالح الأمريكية فى المنطقة سوف يزداد، ولايمكن استبعاد استخدام سلاح النفط [١١٥] .

واقترح روجرز البدء فى مباحثات سرية بعد الحصول على موافقة الطرفين على صيغة توفر إطار مفاهيمى للمحادثات، وذلك بترسيخ القاعدة المنطقية التى تقول إن أمن إسرائيل ومخاوف مصر ليست بالضرورة مما لايمكن الاتفاق بشأنه كذلك الاعتراف بأن القرار ٢٤٢ لا يصادق على خطوط ما قبل ٥ يونيو

١٩٦٧ باعتبارها الحدود النهائية بين مصر وإسرائيل ولا يعيقها فى الوقت ذاته (١١٦).

ولقد تجاهل البيت الأبيض روجرز ومبادرته وكما ذكرنا كانت الأوراق قد انتقلت كلها إلى يد هنرى كيسنجر حتى قبل أن يصبح وزيراً للخارجية، انطلاقاً من إيمانه " بالدبلوماسية السرية " فإن اتصالاته بمصر استمرت حتى الأسابيع الأخيرة قبل بدء الحرب، وتكشف وثائق الأمن القومى الأمريكى عن لقاء بين هنرى كيسنجر وأردشير زاهدى سفير إيران فى واشنطن (١١٧) فى أغسطس ١٩٧٣ ، أعقبه تنشيط للدبلوماسية السرية، حيث التقى زاهدى بأشرف غربال نائب حافظ إسماعيل وذلك فى سويسرا وأطلعه على مذكرة تم إعدادها فى البيت الأبيض تتضمن الرؤية الأمريكية لسياسة الخطوة خطوة Step by Step(١١٨).

وتفضح هذه الوثيقة حقيقة موقف هنرى كيسنجر من مصر ، و من أزمة الشرق الأوسط، فوفقاً لما جاء فى حديثه مع زاهدى فإنه كان يعتقد أن مصر ترتكب حماقة كبيرة عندما تطالب بالانسحاب الكامل من أراضيها ، لقد خسرت الحرب ، فلا يجوز لها أن تطالب بالانسحاب كشرط مسبق ، لكن من الممكن أن تحصل عليه بعد ذلك كنتيجة نهائية (١١٩)، كما كان يعتقد أن إسرائيل ستستمر فى تشددها (١٢٠). أما الفكرة المحورية الرئيسة التى شرحها زاهدى فكانت، أن تبدأ العملية ـ أى عملية السلام ـ بالحصول على موضوع محدد يمكن مساعدة العرب فيه ، ثم تأتى بعد ذلك الخطوات التالية (١٢١).

أما زاهدى و كان صديقاً لحافظ إسماعيل فكان يعتقد أن المصريين والعرب جميعا أصبحوا نزّاعين إلى الشك (١٢٢) أما إسرائيل فكان يرى أنها ترتكب حماقة وخطأ كبيراً ، كما كان يعتقد فى إمكانية استخدام العرب لسلاح النفط و تدخل المملكة العربية السعودية فى المعركة (١٢٣) و لذلك كان يرى أهمية التوصل إلى تسوية سلمية (١٢٤).

ومن اللافت للنظر أن كيسنجر أثناء حواره مع السفير الإيرانى و مع أنه أيده فى أهمية التسوية السلمية إلا إنه أكد أن الأمر ليس سهلا، وإنه لا يوجد حل متصور لتقبل به جميع الحكومات العربية[١٢٥] ثم كانت مفاجأته لزاهدى فهو يرى أنه لاغضاضة عنده فى أن " يترك المصريين يعانون من الضغط..."[١٢٦]. إلا أن زاهدى لفت نظره إلى أنه " يرى أن الأمر لن يكون سهلاً على السادات"[١٢٧].

يذكر أشرف غربال فى مذكراته أن السادات، كلفه بأن يسافر إلى سويسرا لمقابلة " أردشير زاهدى " سفير إيران فى واشنطن، ووزير خارجيتها السابق، وإنه قابله بالفعل يوم الجمعة ٢٤ أغسطس ١٩٧٣ فى جنيف ثم اصطحبه إلى "مونترو" حيث اجتمع به بعد ظهر الجمعة وصباح السبت ٢٥ أغسطس، وأن زاهدى أخبره بأن الوقت مناسب للتحرك من أجل السلام، وأن الرأى العام العالمى، وحتى الأمريكى بدأ يتحول، وأن أزمة الطاقة سيكون لها أثرها، وإنه يأمل أن يتم التعاون المصرى السعودى الإيرانى على مستوى الشعوب والحكومات [١٢٨] .

ثم بعد ذلك أخبره بأنه نتيجة لكلامه المستمر مع هنرى كيسنجر حول السلام فقد حصل منه على ورقة ليقدمها لمصر [١٢٩]، و قبل أن يسلمه رسالة كيسنجر أكد له أنه عندما قرأها اكتشف أنها لا تحوى أى مقترحات جديدة ، وإنه أخبر كيسنجر نفسه بذلك فكانت إجابته " أنها نقطة البداية " و أضاف زاهدى إنه لما اعترض على السطر الأخير و كان على النحو التالى :

Egypt should try to develop a proposal that Israel cannot refuse.

بمعنى أن مصر عليها أن تحاول التقدم إلى إسرائيل بمقترحات لا تستطيع إسرائيل أن ترفضها، يقول زاهدى كان اعتراضى أن أمريكا بهذه العبارة الأخيرة تطلب الكثير من مصر و لقد قام كيسنجر بشطبها على أية حال [١٣٠] .

أما الرسالة التى حملها السفير الإيرانى، فقد تضمنت الأفكار الرئيسة التالية :-

أولاً : حرص الولايات المتحدة الأمريكية على أن تعمل بفاعلية ، وأن تعمل بهدوء حتى يتوافر لها إمكانية وجود موقف علنى يمكنها أن تدافع عنه.

ثانياً : أهمية انسحاب القوات الإسرائيلية من مواقعها الحالية.

ثالثاً : ضرورة ألا ينشأ عن الخطوة الأولى تجميد للموقف.

رابعاً: أن الولايات المتحدة تتفهم وضع الرئيس السادات فى هذا الشأن(١٣١).

ولقد اتفق أشرف غربال مع زاهدى : فى تقييم ورقة كيسنجر وأنها مجرد كلمات تعلن عن حسن النيات، لكنها لا تبين كيف يمكن تحقيق الأهداف المنشودة ، وأنها تُبقى تساؤلات كثيرة بدون إجابة وعلى سبيل المثال :

- كيف يمكن التقدم خطوة بخطوه؟
- وكيف يمكن الإبقاء على الموقف فى حالة تحرك بدلاً من جموده الحالى؟
- وكيف يمكن ألا تؤدى الخطوة الأولى إلى إعادة تجميد الوضع ؟
- وكيف يمكن تحقيق التسوية الشاملة العادلة فى النهاية ؟
- وما هو المقصود بمرونة تكتيكية أكثر من جانب مصر ؟
- كيفية التقدم من المرحلة الأولى للمراحل اللاحقة ؟
- كما أن الفقرة السادسة جاءت غامضة وكانت على النحو التالى :

"We judge that the U.S. is serious in wanting a settlement and is serious in trying to find a workable way of achieving one".

- وترجمتها " نحن نقدر أن الولايات المتحدة جادة فى سعيها إلى تسوية كما أنها جادة فى محاولة البحث عن طريق عملى لتحقيقها " لكن من المقصود ب " We "(١٣٢).

ويذكر أشرف غربال أنه بينما كان يقول لزاهدى أن وقف إطلاق النار كان بمثابة الخطوة الأولى نحو التسوية الشاملة العادلة ، إلا أن الأمور تجمدت والآن يطلب من مصر مجدداً موقفاً مرناً " كخطوة لتحريك الأمور " تسلم زاهدى مظروفاً من الشاه وبعد إطلاعه عليه ، ذكر له ، أن الشاه أبدى ملحوظة على ما ورد بخطاب من كيسنجر بأن " أصدقاءنا المصريين لن يمكنهم قبول هذه الورقة " و لم تكن هذه الورقة ألا تكراراً لما حمله زاهدى (١٣٣) .

على أية حال رفع أشرف غربال تقريره عن اللقاء مع السفير الإيرانى إلى أنور السادات وكانت تعليقاته على الورقة على النحو التالى :

أولاً : إنها تتضمن اعترافات أمريكية بأن موقفها متحيز لإسرائيل.

ثانياً : رغم أن الولايات المتحدة تعرف أن موقفاً عادلاً علنياً من جانبها يرضى العرب إنما تتذرع بأنه سيدفعها للتراجع تحت الضغط الإسرائيلى وبذلك تبقى الأمور مجمدة.

ثالثاً : أن واشنطن تحملنا مسئولية تجمد الموقف الحالى ، حين نطلب أن تلتزم إسرائيل الآن بانسحاب كامل ، وهو ما لن تعطيه أى حكومة إسرائيلية فى هذه المرحلة.

رابعاً: أن على مصر أن تقنع نفسها بأن الحل يجب أن يأتى عن طريق تجزئة المفاوضات مما يمكّن من الوصول إلى نتائج عملية.

خامساً: وأن تقنع مصر كذلك بأن أى إنسحاب إسرائيلى - وأيًا كان مداه ، أفضل من الوضع المتجمد الحالى.

سادساً : إن ذلك يمكن أن يحوّل الجمود الحالى إلى سيولة قد يأتى معها مايعاون على استمرار الحركة حتى تتوفر التسوية الشاملة .

سابعاً : إنما كل الضمانات هنا هى فى النوايا الطيبة ، ثم حرص أمريكا على رعاية مصالحها.

ثامناً : أن الولايات المتحدة تحث مصر على مرونة تكتيكية أكبر، وأن المطلوب منها أن تضع مشروعًا يتعذر على إسرائيل أن ترفضه ، و بمعنى آخر، أن مصر هى التى يتعين عليها الآن أن تغير من موقفها وأن تتحرك ، وأن تقدم التنازلات التى يمكن أن ترضى إسرائيل ٠ وإذا كان كيسنجر بعد ملاحظة زاهدى قد شطب الجملة الاخيرة ، فإن ذلك لايعنى أنه شطبها من التفكير والتخطيط الأمريكى ، ثم إنها موجودة بالفعل فى الجملة السابقة التى تنادى بمرونة تكتيكيه أكثر من جانب مصر ٠

تاسعاً : كذلك يلاحظ على الورقة اعتراف أمريكا فيها ، بأن الحل الجزئى بما يتضمنه من بدء انسحاب القوات الإسرائيلية ، سيترتب عليه خسارة لمصر، إنما فى نظر أمريكا فهذه الخسارة ، أقل من الخسارة المترتبة على الجمود الحالى وفى ظنى فإن هذا الاعتراف يؤكد شكوك مصر وخوفها من تجمد التسوية بعد الخطوة الأولى.

عاشراً: أن الورقة تتكلم عن حل جزئى يترتب عليه انسحاب ما ، بمعنى أن المقصود بتجزئة المفاوضات هو تحقيق تسوية جزئية فى ضوء الموقف الأمريكى والإسرائيلى المعروف (١٣٤).

واللافت للنظر ، بل والمثير للدهشة فى آن واحد ، أن من يتتبع أفكار وطموحات هنرى كيسنجر وتصريحاته خلال شهرى أغسطس وسبتمبر، أى قبيل أن يصبح وزيراً للخارجية ، وبعد تقلده للمنصب مباشرة ، يشك كثيراً فى نواياه، ويستنتج أنه كان يُغلق الأبواب أمام التسوية السلمية ، ويدفع مصر دفعاً إلى اليأس أو الحرب رغم تبنّيه للدبلوماسية السرية كأسلوب ومنهج لمعالجة الأزمات الدولية.

ففى أغسطس وسبتمبر عام ١٩٧٣، كان قد اقتنع تماماً بأن الموقف التفاوضى العربى مستحيل فالعرب يطالبون بالانسحاب الإسرائيلى الكامل من

الأراضى التى أحتلها بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ، فى مقابل إنهاء حالة الحرب، ثم يتعين على إسرائيل حسبما يقول المصريون " أن تتفاوض مع الفلسطينيين للتوصل إلى سلام نهائى..." (١٣٥).

وكان يرى أيضاً أن موقف مصر شديد الغموض بشأن الفرق بين حالة إنهاء الحرب ، وإقامة السلام النهائى ، وأن مصر بهذا الموقف تساعد إسرائيل على تحقيق هدفها ،لأن إسرائيل كانت تعمل على إضاعة الوقت (١٣٦) .

وكما ردد لأكثر من دبلوماسى عربى ، أنه ليس مطلوباً من الولايات المتحدة أن تطلب من إسرائيل الانسحاب، وبعد ذلك تتحدث إلى الفلسطينيين وإنه من غير المستطاع إكراه إسرائيل على قبول حل شامل على الفور (١٣٧). الأكثر من ذلك أنه كان يعتقد بعدم جدوى إقدام الولايات المتحدة على تبنى سياسة أكثر توازناً لأن ذلك لن يكون مفيداً ، فالعرب يريدون من الولايات المتحدة أن تتخذ مواقف و تضغط على إسرائيل ، و لكن لن يكون مجدياً فالأفضل من ذلك حسب رأيه " الاحتفاظ بالنفوذ الأمريكى لدى إسرائيل ،إلى أن يحين الوقت الذى يؤدى فيه اتخاذ موقف منفصل إلى نتائج ملموسة "، وقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأخذ بسياسة متوازنة ، ولكن كان هذا يحتاج إلى (نقطة ارتكاز لتحريك المواقف) فلا يسعها أن تؤيد الحد الأقصى للموقف العربى فى المفاوضات ، ولكن متى بدأت المفاوضات فعلا أخذت إسرائيل فى التراجع وسارت عمليه التفاوض فى طريقها، وكان من رأيه أن زحزحة الإسرائيليين من أى مكان آخر فى سيناء أسهل من زحزحتهم من خطوط وقف إطلاق النار (١٣٨).

ومن اللافت للنظر أنه بعد ثلاثة أيام من توليه منصبه كوزير للخارجية ، تحديداً يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ ، اجتمع بمعظم السفراء العرب فى الأمم المتحدة ومازحهم بأنه من أصل يهودى ، لكنه سيعمل على تحقيق تسوية بين العرب وإسرائيل ، ولم يفته بالطبع أن يحذرهم من توقع حدوث معجزات ، فزمن المعجزات انتهى ، وأكد لهم أنه لن يعد إلا بما يستطيع تقديمه ، ولكن سيقدم ما وعد به (١٣٩).

ومن استقراء النصوص السابقة ، يمكن القول بإطمئنان أن مستشار الأمن القومى الأمريكى ، ووزير خارجية نيكسون لم يَعِد بشىء يمكن قبوله ، صحيح أنه كان ساحراً ، مبهراً ، لكنه لم يُخرج من جرابه ما يُسحر به حفدة الفراعنة ويأخذ بألبابهم كما أنه لم يَعُد بإمكان " الفرعون المصرى " [١٤٠] الذى وثق بالحل الأمريكى وعاش يحلم حلم السلام ، أن يقدم أى تنازلات أخرى لذلك لم ينظر باهتمام إلى الرسائل التى جاءت فى أغسطس وسبتمبر ١٩٧٣، عن طريق إيران أو عن طريق رومانيا ، لأن الحرب كانت قد أصبحت ضرورة سياسية ونفسية فى آن واحد ٠

ومن المفارقات ذات الدلالة ، أنه بينما كان أشرف غربال يقابل أردشير زاهدى فى مونترو ٢٤ – ٢٥ أغسطس ١٩٧٣ ، كان نادى الضباط بمدينة الإسكندرية يشهد سلسلة من الاجتماعات السرية ، بدأت يوم ٢٢ أغسطس ١٩٧٣ بين الضباط المصريين والسوريين المكلفين بوضع اللمسات الأخيرة لخطة الهجوم المشترك [١٤١] ٠

وفى نفس الوقت تقريباً ، كان هنرى كيسنجر يفكر فى كيفية " التحكم فى الحرب وضبط نتائجها " حتى يستغلها كفرصة حقيقية ، فى تكريس هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية ، على عملية تسوية جذرية ، للصراع العربى الإسرائيلى ، فضلاً عن استغلالها ، كفرصة ذهبية ، لتقليص وإزاحة النفوذ السوفييتى فى الشرق الأوسط [١٤٢]٠ لذلك ترك القنوات السرية مفتوحة وقرر أن يلجأ إلى أسلوبه الأثير" الدبلوماسية السرية " فى نفس اللحظة التى تشتعل فيها جبهات القتال وهو ما حدث بالفعل [١٤٣]٠

ويبقى أخيراً أنه رغم ما قد يبدو فى بعض الأحيان من اضطراب أو تبدل جزئى فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه إسرائيل، إلا أنه تحت هذا الزبد السياسى المضطرب كانت تستقر الأساسيات الخاصة بالسياسة الأمريكية ثابتة ثبوتاً يبعث على الدهشة والأسى فى آن واحد [١٤٤]٠

الهوامش

(١) رءوف عباس حامد ، الإطار التاريخى للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط ١٩٧٣ – ١٩٨٤، السياسة الدولية ، عدد ٥٦٦ ، الأهرام ، القاهرة ١٩٨١، ص ٦٧–٦٨ ٠

(٢) نقصد وثائق الخارجية الأمريكية FRUS ووثائق الأمن القومى الأمريكى NSC ومعظمها نُشر فى : ستيفن جرين ، الإنحياز ، علاقات أمريكا السرية مع دولة إسرائيل العسكرية ـ عربه : سهيل زكار، دمشق ١٩٨٥، محمد حسنين هيكل، الإنفجار ١٩٦٧ ، الأهرام ، القاهرة ١٩٩٠ ، خاصة ص ص ٧١٥–٧٢٤ ؛ أشرف غربال ، صعود وإنهيار علاقات مصر وأمريكا ـ الأهرام ، القاهرة ٢٠٠٤، فطين فريد العلاقات السياسية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠ ـ رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٩٣.

(٣) ولد ليندون ب .جونسون يوم ٢٧من أغسطس ١٩٠٨، وتولى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية عقب اغتيال جون كينيدى يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ ، ثم أُنتخب لفترة رئاسة كاملة يوم ٣ من نوفمبر ١٩٦٤.

(٤) حول شهر العسل الطويل نسبياً بين الولايات المتحدة الأمريكية ومصر أنظر جمال شقرة ، الحركة السياسية فى مصر ١٩٥٤– ١٩٦١ ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٩٣ ؛ جيفرى أرونسون، واشنطن تخرج من الظل ـ ترجمة : محمد سيد أحمد ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ١٩٨٧ .

(٥) لمزيد من التفاصيل أنظر هيكل ، الإنفجار ، ص ٣٧١ ، حيث ينقل حديث يوجين بلاك إلى جمال عبد الناصر أثناء مقابلته له فى الأول من ديسمبر ١٩٦٦، حيث أخبره أن الولايات المتحدة سوف تطلق حرية العمل لإسرائيل كما يروى بالوثائق تفاصيل المخطط الامريكى للخلاص من عبد الناصر ؛ أنظر أيضاً بيتر رايت، صائد الجواسيس ـ ترجمة وعرض : محمد مصطفى شردى ـ مدبولى الصغير، القاهرة ١٩٨٨ .

(٦) ممدوح محمود مصطفى ، الصراع الأمريكى ـ السوفييتى فى الشرق الأوسط ـ مدبولى ، القاهرة ١٩٩٥ ص ص ٣٥١–٣٥٢ ؛ فلاديمير فينوجرادوف ، حقبة غامضة من التاريخ المصرى من أوراق سفير الاتحاد السوفيتى السابق فى القاهرة ـ ترجمة حمدى عبد الحافظ ، كتاب الأهالى ، عدد ٢٣، القاهرة ١٩٩٠ .

(٧) وليم ب كوانت ، أمريكا والعرب وإسرائيل ، عشر سنوات حاسمة ١٩٦٧.١٩٧٦ ترجمة : عبد العظيم حماد ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠، ص ٩٢ ٠

(٨) لمزيد من التفاصيل ، أنظر ، هيكل ، الإنفجار ، ص٣٧١ ؛ دينو فريسكوبالدى، ناصر ـ ترجمة : الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، (د. ت) ٠

(٩) فطين أحمد فريد ، المرجع السابق ، ص ص٣٦٩ ـ٣٧٠ ؛ و أنظر أيضاً محمود رياض ، البحث عن السلام و الصراع فى الشرق الأوسط ١٩٤٨ ـ ١٩٧٨ . المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، القاهرة ،١٩٨١ ص ص ٧٨.٠٧٩

(١٠) محمود رياض ، المرجع السابق ، ص٧٨ ٠

(١١) نفس المرجع ، ص ص٧٩ـ ٨٠ ٠

(١٢) لمزيد من التفاصيل أنظر ، أباإيبان ، مذكرات وزير الخارجية الإسرائيلية الأسبق ـ ترجمة : صوت البلاد ، بيروت، (د.ت) فصل بعنوان لقاء مع جونسون ص ص ١٢٩-١٣٦

(١٣) صدر قانون الأمن القومى الأمريكى رقم٨٠ ـ٤٥٣ لينص على إنشاء مجلس للأمن القومى تابع لرئيس الجمهورية ومقره البيت الأبيض ومهمته أن يعمل بكل الوسائل وبواسطة وكالة المخابرات المركزية وغيرها من أجهزة الأمن القومى التى يقتضى الأمر إنشائها ، على تحقيق الأهداف السياسية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية على مستوى العالم ، وله أن يتخذ الخطط والعمليات التى يراها كفيلة بتحقيق أهدافه ؛ لمزيد من التفاصيل أنظر هيكل ، الإنفجار، ص ص ١٠٢ـ١٠٣ ٠

(١٤) National Security documents report to the National Security Council: Middle East Crisis, June 14, 1967

وأنظر أيضاً ، أبا إيبان ، المرجع السابق ، ص ١٢٩ـ ١٣٦ ؛ جولدا مائير مذكرات ـ ترجمة ، منير بهجت حيدر وآخر ، دار المسيرة ، بيروت ١٩٨٨ ص ٢٨٠ ٠

(١٥) كوانت ، المرجع السابق ، ص ص ١١٩ـ١٢٠ ٠

(١٦) لمزيد من التفاصيل أنظر، محمود رياض ، المرجع السابق ، ص٧٩ ؛ ممدوح مصطفى ، المرجع السابق ، ص ص ٣٥٠ـ٣٥٢ .

(١٧) Joseph Nye (ed.) the Making of America's Soviet Policy" London 1984" PP 137-139

أشرف غربال ، المرجع السابق ، ص ص ١٧ـ ١٨ ؛ محمود رياض، المرجع السابق ، ص ص ٧٩ـ ٨٠ ٠

(١٨) Quanta-William- Decade of Decisions: American Policy toward the Arab- Israel Conflict 1967 - 1976 (Berkeley Caleb: University Of California Press-1977) P 64

وأنظر أيضاً ، تفسير جولدا مائير ، المرجع السابق ، ص٢٦٩ ٠

(١٩) تنقسم الجهود الدولية التى بُذلت لعلاج أزمة الشرق الأوسط عقب حرب يونيو ١٩٦٧ إلى مرحلتين رئيسيتين : الأولى تبدأ بصدور قرار مجلس الأمن ٢٤٢ يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وتنتهى يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠ وهو تاريخ وقف إطلاق النار ترتيباً لمبادرة روجرز ، أما المرحلة الثانية فتبدأ يوم ٩ أغسطس ١٩٧٠ وتنتهى يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ اليوم السابق على اندلاع حرب أكتوبر ١٩٧٣ حول هذه الجهود أنظر محمد حافظ إسماعيل ، أمن مصر القومى فى عصر التحديات ـ الأهرام القاهرة ١٩٨٧؛ عائشة راتب ، الجوانب القانونية للنزاع العربى الاسرائيلى ـ الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٦ .

وأنظر أيضاً ،

Quanta-William, op.cit. P.P. 65-66, Harvard Law Journal, Vol. G, No. 2, Spring 1968, P.P. 238-279

(٢٠) أدرك عزرا وايزمان أثر الجروح الغائرة التى تركتها حرب ١٩٦٧ فى صدورالمصريين والعرب ، وأكد فى مذكراته أنها هى التى دفعتهم لرد الإهانة فى أكتوبر ١٩٧٣، راجع عزرا وايزمان ، الحرب من أجل السلام ـ ترجمة غازى السعدى دار الجليل عمان ، بدون ، ص ٣٨ ؛ أنظر أيضاً ، مكسيم رودونسون ، إسرائيل والرفض العربى، ترجمة هيئة الاستعلامات ، كتب مترجمة ، عدد٧٠٢ ، القاهرة ، (د.ت) ؛ عبد المنعم واصل ، مذكرات الفريق عبد المنعم واصل ـ الشروق الدولية القاهرة ٢٠٠٢ ص٤٣ ٠

(٢١) محمود رياض أمريكا والعرب ـ دار المستقبل العربى القاهرة ١٩٨٩، ص ص ٤٩ـ٥٠؛ جولدا مائير ، المرجع السابق ، ص ص ٢٦٨ـ ٢٦٩٠

(٢٢) راجع خطب وتصريحات وأحاديث جمال عبد الناصر المجلد الخامس ١٩٦٧ـ١٩٧٠ ؛ وأنظر ، تعليق جولدا مائير ، المرجع السابق ، ص ٢٦٨ ٠

(٢٣) حول أهداف وأهم نتائج حرب الاستنزاف ، أنظر طه المجدوب ، حقائق وأسرار من النكسة حتى حرب الاستنزاف ـ دار الهلال ، القاهرة ،١٩٧٧ ؛ هيئة البحوث العسكرية ، صفحات مضيئة من تاريخ مصر العسكرى يونيو١٩٦٧ـ اغسطس١٩٧٠ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٨ ؛ إدجار أوبالانس و آخران ، حرب الاستنزاف ـ دار القدس بيروت ١٩٧٨ ؛ أنظر أيضاً ، جولدا مائير، المرجع السابق ، ص٢٧٥ ٠

Moshe Dayan, Story of my life, London, 1976, P.P. 335-347 .

(٢٤) وليام ب كوانت ، عملية السلام الدبلوماسية الأمريكية و النزاع العربى الإسرائيلى ترجمة : مركز الأهرام ،القاهرة ١٩٩٤ ص ص١٢٥ـ١٣٢ ٠

(٢٥) محمد حسن الزيات ، السادات .. القناع والحقيقة ـ كتاب الاهالى ، عدد ١٨ القاهرة ١٩٨٩ ص ٢٠.

(٢٦) بعد أن قطعت مصر العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية على أثر عدوان يونيه١٩٦٧، سمح عبد الناصر بفتح قنوات اتصال سرية مع إدارة ليندون جونسون ، وذلك لتبادل وجهات النظر بعيداً عن تأثير أجهزة الإعلام وتوصيل ثوابت السياسة المصرية فيما يخص أزمة الشرق الأوسط ، و لعبت أسماء كثيرة من الطرفين أدواراً مهمة فى هذه الاتصالات ربما أشهرها من المصريين علوى حافظ ، د.حسن صبرى الخولى ، ومن الجانب الامريكى مايلزكوبلاند وكيرميت روزفلت وهما من رجال المخابرات ، ودونالد بيرجس مدير إدارة مصر بالخارجية الأمريكية و كذلك الممثل الخارجى لشركة الكو ALCO ويرد اسمه فى الوثائق الأمريكية هكذا " Seddigi صديقى " وديفيز نائب مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط ، ورجل الأعمال الأمريكى بيرتزول ،

وروبرت أندرسون وزير الخزانة الامريكى السابق ويوجين بلاك ، رئيس البنك الدولى ومكجورج بندى ، رئيس مؤسسة فورد راجع أشرف غربال ، المصدر السابق ص ص١١-٤٨ ؛ محمد حسنين هيكل ، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل - الكتاب الثانى دار الشروق ، القاهرة ١٩٩٦ ص ص ١٣٨-١٤٨ ٠

(٢٧) ولد "ريتشارد م. نيكسون" فى التاسع من يناير عام ١٩١٣، وتولى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ، من يناير ١٩٦٩ الى١٩٧٢ و لم يكمل المدة الثانية بسبب فضيحة "ووترجيت " حيث استقال يوم ٩ أغسطس ١٩٧٤ ليخلفه جيرالد فورد ١٩٧٤-١٩٧٧ ٠

(٢٨) ينتمى هنرى كيسنجر لأسرة يهودية ألمانية من الطبقة المتوسطة، حصل على درجة الدكتوراة فى العلوم السياسية ، كان أول مؤلفاته حول السلاح النووى والسياسة الخارجية ، نُشر عام ١٩٥٤، ولقد عمل كيسنجر مستشاراً لإدارة كل من إيزنهاور وكنيدى وجونسون إلا أنه لم يتول أى منصب إدارى إلى أن عينه ريتشارد نيكسون مستشاراً للأمن القومى ، ثم وزيراً للخارجية وهنا جمع شهرته الأكاديمية وشهرته فى مجال العمل السياسى ، وارتبطت هذه الشهرة فى معظمها بدوره فى مشكلة الشرق الأوسط ، ومن مؤلفاته أيضا:

- American Foreign Policy.
- The Necessity for Choice.
- The Troubled Partnership.
-The White House Years.

وحول سيرته أنظر، Walter, Issacson, Kissinger: Biography .New York, Simon & Schuster 1992.

(٢٩) السيد أمين شلبى، الوفاق الدولى واللاسلم واللاحرب. وزارة الدفاع الندوة الاستراتيجية، حرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما ، مجلد المحور السياسى القاهرة ١٩٩٨ ص ص ٣٦-٤٣ ؛ اشرف غربال ، المرجع السابق ، ص ٢١ ٠

(٣٠) السيد أمين شلبى، المرجع السابق ، ص ص ٣٦-٣٧ ٠

(٣١) نفس المرجع ، ص٣٧ ؛ انظر أيضاً ، أشرف غربال ، المرجع السابق ص ٥٩ ٠

(٣٢) فى لقاء بين وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية "روجرز " والدكتور أشرف غربال، المشرف على المصالح المصرية فى واشنطن فى يونيه ١٩٧٢ ، قال روجرز " أن المباحثات أصبحت الموضة Fashionable فى العلاقات الدولية ، وهى لاتحدث نتيجة قوة الحجة فى القول ، وإنما نتيجة لتطورات واقعية ، وضرب أمثلة على المباحثات بين الولايات المتحدة والصين والمباحثات بين الألمانيتين ، ومباحثات " سولت " للحد من الأسلحة الاستراتيجية، أشرف غربال، المرجع السابق ، ص ٦٣ ٠

(٣٣) هيكل ، الإنفجار ، ص ص ٦١-٩١ ؛ كوانت ، عملية السلام ، ص١٣٨ ٠

(٣٤) نصت قرارات قمة موسكو ، مايو ١٩٧٢ على تأييد الدولتين العظمتين للتسوية السلمية فى الشرق الأوسط ، وفقاً لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ ، ودعمها لجهود ممثل الأمم المتحدة جونار يارنج وعلى استعدادهما للقيام بدور مهم وفعال لتحقيق التسوية السلمية المطلوبة ، إلى بذل الجهود لتحقيق الاسترخاء العسكرى فى الشرق الأوسط ٠ لمزيد من التفاصيل ، أنظر ،كوانت ، عملية السلام ، ص١٣٨-١٣٩ ٠

(٣٥) بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على حرب أكتوبر١٩٧٣ ، أفرجت الولايات المتحدة الأمريكية عن بعض وثائق أرشيف الأمن القومى الأمريكى ٠ و تلقفت جامعة جورج واشنطن تاون هذه الوثائق ونشرتها لطلابها ٠ وتضم هذه الوثائق المحادثات الهاتفية والمراسلات والتقارير والبرقيات التى تمت أثناء الحرب وبعدها وبعض الوثائق عن المحادثات السرية التى دارت بين حافظ إسماعيل ، مستشار" الرئيس السادات" للأمن القومى و هنرى كيسنجر وبعض الوثائق الخاصة بالوساطة الإيرانية و الرومانية قبل اندلاع الحرب. ولقد قسمت هذه الوثائق إلى ثمانية مجموعات ، أُطلق على الأولى : نشأة النزاع وتضم سبع وثائق وسميت الثانية : مقدمات الحرب و تضم أيضاً سبع وثائق أما الثالثة : فتضم الوثائق التى تناولت الهجوم المصرى السورى يوم ٦ أكتوبر واشتملت على تسع وثائق ٠ أما العشر وثائق التى ضمتها المجموعة الرابعة فتناولت الجسر الجوى و تطور الحوادث على أرض المعركة و تناول بعضها استخدام النفط كسلاح ٠أما المجموعة الخامسة:فتعرضت وثائقها للهجوم المضاد بعد أن استقوت إسرائيل بالإمدادات الأمريكية٠وأُطلق على المجموعة السادسة: التى اشتملت على تسعة عشر وثيقة اسم يدل على انحياز المصنف الذى تعامل مع هذه الوثائق ، حيث سماها "رائحة النصر " يقصد " النصر الإسرائيلى" والبحث عن وقف لإطلاق النار ثم تناولت المجموعتان السابعة و الثامنة تطور الحوادث وانهيار وقف أطلاق النار٠ ومواقف الاتحاد السوفيتى من الحرب ، لقد نُشرت هذه الوثائق فى الدراسة التى أعدها "خالد أبو ستة العياصرة"، الرواية الجديدة عن حرب أكتوبر ـ دار الجليل ، عمان الأردن ٢٠٠٤ .

(٣٦) حول هذه الخطة ، انظر ، سعد الدين الشاذلى ، مذكرات الفريق الشاذلى ـ الطبعة الثانية الجزائر ١٩٧٩ ص ص ١٥ـ ٣٨ ؛ محمد عبد الغنى الجمسى مذكرات المشير عن حرب اكتوبر١٩٧٣، القاهرة ٢٠٠٣ ص١٩٥ ٠

(٣٧) نص حديث لجمال عبد الناصر مع دونالد بيرجس ، مدير إدارة مصر بالخارجية الأمريكية بتاريخ ٦يناير١٩٦٨ ، ثم تكرر هذا الموقف فى وثائق أخرى كثيرة كما تكرر فى خطب و تصريحات جمال عبد الناصر حتى رحيله، راجع مجموعة الوثائق الأمريكية التى نشرها أشرف غربال ، المرجع السابق، ص ص٢٤-٤٨ ٠

(٣٨) الزيات ، المرجع السابق ، ص ص٢٠-٢١ ٠

(٣٩) نفس المرجع ص٢١ ٠

(٤٠) كانت القناة الأولى التى حاول أنور السادات استخدامها لينقل أفكاره إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، هى قناة سعودية ، حيث ألتقى كمال أدهم صهر الملك فيصل، ورئيس جهاز المخابرات السعودية ، وهمزة الوصل بين المملكة العربية السعودية ، والمخابرات الأمريكية ، وكان كمال أدهم صديقًا قديمًا لأنور السادات ولعل توقيع السادات كشاهد على عقد زواجه أفضل دليل على عمق العلاقة ولقد نقل كمال أدهم إلى الأمريكيين تعهد أنور السادات بإخراج السوفييت من مصر ، إذا ما خرج الإسرائيليون من سيناء وبعد مبادرة موشى ديان ١٠ ديسمبر ١٩٧٠ كلف أنور السادات عضو مجلس قيادة الثورة عبد المنعم أمين بمقابلة دونالد بيرجس القائم على شئون رعاية المصالح الأمريكية تحت مظلة السفارة الاسبانية فى مصر، وكان الهدف نقل أفكاره وجس نبض الإدارة الأمريكية الجديدة كما قابل عبد المنعم أمين يوجين ترون مسئول المخابرات المركزية الأمريكية بالقاهرة إلا أن هذه الاتصالات لم تنجح فى تحريك الدبلوماسية الأمريكية سواء السرية أو العلنية لفتح ملف الشرق الأوسط ، وسيتأخر ذلك كثيراً حتى تبدأ الجهود الدبلوماسية السرية فى فبراير ١٩٧٣ ، ثم تتوقف لتعود فى مايو ١٩٧٣ ثم تتوقف وتفشل لتفتح الباب أمام الحرب ٠وتجدر الإشارة إلى أن جهاز المخابرات المصرى قام بتسجيل لقاء كامل أدهم وأنور السادات كما قام بتسجيل لقاء عبد المنعم أمين مع دونالد بيرجس و يوجين ترون ونشرها محمد حسنين هيكل فى كتابه " أكتوبر ١٩٧٣السلاح والسياسة" الأهرام القاهرة ١٩٩٣ ص ص ١٣٦- ١٤٨ ، كما تجدر الإشارة إلى أننا نجد دراسة وثائقية حول علاقة كمال أدهم بأنور السادات وبالمخابرات الأمريكية قبل وصول السادات إلى الحكم.

(٤١) الزيات ، المرجع السابق ، ص٢١ ؛ أنظر أيضاً ، أشرف غربال ، المرجع السابق ص ص٣٦-٣٧ ، ٤٦-٤٧ ؛ هيكل، أكتوبر١٩٧٣ ص ١٥٢ ؛ محمود رياض ؛ أمريكا والعرب ، ص ص ٣٢٧ -٣٢٩ ٠

(٤٢) لمزيد من التفاصيل انظر

Kissinger, Henry, The White House years little brown and co, Boston, 1979, P.P. 1297-1299.

وأنظر تحليل محمود رياض ، البحث عن السلام ، ص ٤٠٦؛ وليام كوانت، الدبلوماسية الأمريكية ، ص ص ١٣٩-١٤٠ ٠

(٤٣) أشرف غربال ، المرجع السابق ، ص ٦١؛ ولمزيد من التفاصيل حول استغناء السادات عن الخبراء السوفييت ، أنظر محمد حسنين هيكل ، الطريق إلى رمضان - دار النهار - بيروت - ١٩٧٥ ص ص ١٤٩-١٦٥ ؛ محمود رياض ، أمريكا العرب ، ص ص ١٣٧-١٥١ ٠

(٤٤) لمزيد من التفاصيل ، أنظر Kissinger,Op. cit. P. 1278

(٤٥) Ibid, P. 1279.

أنظر نص حديث هنرى كيسنجر مع السفير الإيرانى أردشير زاهدى يوم ١٣ أغسطس ١٩٧٣ حيث يقول صراحة " إنها حماقة من دولة خسرت الحرب أن تطالب بالانسحاب كشرط مسبق " أنظر مذكرة ,

Harold Saunders Nscstaff, to Kissinger " Memorandum on your talk with Zahedi source: NPMP, Hako Box 132 EGYPT -Ismail vo.l VI 200 sept. 30, 1973,

محمود رياض ، أمريكا والعرب ، ص ص١٠١ ، ١١٢ ٠

(٤٦) كوانت ، عملية السلام ، ص ١٣٢ ٠؛ وحول ما دار بين " السادات ومحمود رياض " و"السادات ومحمد حسنين هيكل " قبل إلقاء الخطاب الذى طرح فيه السادات مبادرته ، أنظر ، محمود رياض ، البحث عن السلام ، ص ص٣٢٧ ـ٣٢٩ ؛ هيكل، أكتوبر ١٩٧٣ ، ص ص ١٥٢ـ١٥٣؛ ٢٤٠ـ٢٤١

(٤٧) كوانت ، عملية السلام ، ص ١٣٣ ٠

(٤٨) أشرف غربال ، المرجع السابق ، ص ٥٩ ٠

(٤٩) حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ٠

(٥٠) نفس المرجع ، ص ص ٢٥٠ـ٢٥١ ٠؛ هيكل ، أكتوبر ١٩٧٣ ص ٢٧٢ ٠

(٥١) حافظ أسماعيل ، نفس المرجع ، ص ٢٥١ ٠

(٥٢) المرجع ذاته ، ص ص ٢٥١–٢٥٢ ٠

(٥٣) نفس المرجع ، ص ٢٥٣ ٠

(٥٤) اعتمدنا فى دراسة المباحثات السرية التى دارت فى الجولة الأولى فبراير ١٩٧٣ على مجموعة وثائق الأمن القومى الأمريكى NSC التى حفظت لنا نصوص المحادثات التى دارت بين الوفدين المصرى برئاسة محمد حافظ إسماعيل والأمريكى برئاسة هنرى كيسنجر ؛ كما رجعنا إلى نص التقرير الذى رفعه حافظ إسماعيل إلى أنور السادات بعد عودته من واشنطن نشره هيكل فى كتابه : أكتوبر ١٩٧٣ ، ولم نكتف بهذا القدر بل رجعنا إلى ما سجله حافظ إسماعيل و هنرى كيسنجر فى مذكراتهما فضلاً عن تحليل "ويليام ب كوانت" "وأشرف غربال ومحمود رياض " وكذلك ما نشر عن هذه المحادثات فى مذكرات جولدا مائير و " إسحق رابين وموشى ديان " ٠والملاحظة المهمة أنه رغم الاختلاف فى التفاصيل إلا أن هناك إجماعًا على الحقائق الأساسية التى دارت فى هذه الجولة وكذلك جولة ٢٠ مايو ١٩٧٣ .

(٥٥) حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ٢٥٤ ـ٢٥٥ ٠

(٥٦) كوانت ، عملية السلام ، ص ١٤٢ـ١٤٣ ٠

(٥٧) حافظ إسماعيل، نفس المرجع ، ص ٢٥٥ ؛ هيكل، أكتوبر ١٩٧٣ ، نص تقرير حافظ إسماعيل ، ص ص ٢٧٢ـ٢٧٣ـ٢٧٥ ٠

(٥٨) نفس المرجع ، ص٢٥٥-٢٥٦ ، هيكل، أكتوبر١٩٧٣ ، ص٢٧٣ ، كوانت، عملية السلام ، ص١٤٢ ٠

(٥٩) نص التقرير المقدم من " حافظ إسماعيل" ، هيكل ، أكتوبر١٩٧٣ ص٢٧٥-٢٧٧ ، انظر تفاصيل كثيرة حول ما طرحه الجانب المصرى بخصوص المسائل الإجرائية والموضوعية، "حافظ إسماعيل " المرجع السابق ص ص٢٥٧-٢٦١ ٠

(٦٠) حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص٢٦٠ ٠

(٦١) نفس المرجع، ص٢٦١ ؛ أنظر أيضاً ، هيكل ، اكتوبر١٩٧٣ ، ص٢٧٥ ٠

(٦٢) حافظ إسماعيل ، نفس المرجع ، ص٢٦١ ٠

(٦٣) هيكل ، أكتوبر١٩٧٣، ص٢٧٦ ٠

(٦٤) نفس المرجع ، ص٢٧٦-٢٧٧ ٠

(٦٥) نفس المرجع ص٢٧٢-٢٧٣ ؛ حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ص٢٥٥ ، كوانت ، عملية السلام ، ص١٤٢ ٠

(٦٦) حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص٢٥٨ ٠

(٦٧) نفس المرجع ، ص٢٥٩ ؛ هيكل ، أكتوبر ١٩٧٣ ، ص٢٧٣ ٠

(٦٨) حافظ إسماعيل ، نفس المرجع ، ص٢٦١ ٠

(٦٩) نفس المرجع ، ص٢٦١ ٠

(٧٠) نفس المرجع، ص٢٦١ ٠

(٧١) إسحق رابين ، مذكرات ـ القسم الثانى ، ترجمة : دار الجليل عمان الأردن١٩٩٣ ص ٧٦.

(٧٢) نفس المرجع ، ص٧٨ ٠

(٧٣) نفس المرجع ، ص٧٩ ٠

(٧٤) نفس المرجع ، ص٧٩-٨٠ ٠

(٧٥) نفس المرجع ، ص ٨٠ ؛ أنظر أيضاً ، جولدا مائير، المرجع السابق ص ص٢٨١ – ٢٨٣.

(٧٦) إسحق رابين ، المرجع السابق ، ص٨٢ ٠

(٧٧) نفس المرجع ، ص ص٨٢ – ٨٣.

(٧٨) حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ص ٢٦٦-٢٦٧ ، يذكر اللواء "عبد المنعم خليل " قائد الجيش الثانى ، أنه سمع أحد الأمريكيين يقول لأنور السادات قبل الحرب ، أن موقفنا بين إسرائيل و بينكم هو كالـ Catalyst أى العامل المساعد فى التفاعل الكيميائى، رد عليه السادات ، إن هذا يعنى أنكم تلعبون معنا " لعبة الإستُغماية " Hide and Seek" عبد المنعم خليل، فى قلب المعركة ـ المكتبة الأكاديمية القاهرة ١٩٩٥ ص٣٧٨ .

(٧٩) حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص٢٦٧ ٠

(٨٠) هيكل ، أكتوبر١٩٧٣، ص ٢٨٠ ؛ وله أيضا أنظر ، الحل و الحرب ـ شركة المطبوعات للتوزيع و النشر ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٤ ؛ أشرف غربال، المصدر السابق ، ص ص ٧٦ – ٧٧ .

(٨١) جولدا مائير، المصدر السابق ، ص ص٢٨١-٢٨٣ ،٣٠٦ ، حول اعترافها بضيق السادات من هذه الصفقة ، ص٣٠٦ ؛ انظر أيضاً ، إسحق رابين، المرجع السابق، ص ص ٨٤ ـ٨٥ ؛ محمود رياض ، أمريكا والعرب ص١٥٢

(٨٢) Memorandum from national Security Council" NSC" Steff"Indications of Arab in tentions to initiate Hostilities n.d May 1973, early

أنظر أيضاً ، تعريب جيد للوثيقة فى: خالد أبو ستة العياصرة ، المرجع السابق ، ص ص٢٠٩–٢١٠ ، جون بولوك ، الإعداد للحرب فى الشرق ١٩٦٧ – ١٩٧٣، ترجمة: هيئة الاستعلامات، القاهرة (د.ت) ، ص٧٣ ٠

(٨٣) Ibid.

وأنظر أيضاً ، خالد أبو ستة ، المرجع السابق ، ص ص٢٦٩-٢٧٠ ٠

(٨٤) حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ص٢٦٩-٢٧٠ ٠

(٨٥) هذا التقرير لم يفرج عنه ضمن الوثائق التى أفرج عنها بمناسبة مرور٣٠ عاماً على حرب أكتوبر ، أنظر خالد أبو ستة ، المرجع السابق ، ص٢١٠ ٠

(٨٦) حول هذه التطورات ، انظر كوانت ، عملية السلام ، ص١٤٥ ؛ حافظ إسماعيل المرجع السابق ، ص ص٢٦٩-٢٧٢ ٠

(٨٧) Memorandum of Conversation between Mohammad Hafez Isamil and Henry Kissinger, 20 May 1973,

أنظر ، تعريب جيد للوثيقة فى : خالد أبو ستة ، المرجع السابق ص ص٢١٠-٢١٥، كوانت ، عملية السلام ، ص١٤٥

(٨٨) Ibid,

أبو ستة ، المرجع السابق ، ص ص٢١٦-٢١٧ ٠

(٨٩) Ibid,

خالد أبو ستة، نفس المرجع ، ص ٢١٧–٢١٨ ٠

(٩٠) نفس المرجع ، ص ٢١٨ ٠

(٩١) حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ص ٢٧٦-٢٧٧ ، مع ملاحظة أنه فى مذكراته يروى أو يشرح معنى ما قاله وهو لايختلف فى الحقيقة عما ورد فى المحضر ، انظر خالد أبو ستة ، المرجع السابق ، ص٢٧٧ ٠

(٩٢) خالد أبو ستة ، المرجع السابق ص ص ٢١٥-٢١٦ ، تعريب جيد لمحضر الاجتماع ٠

(٩٣) نفس المرجع ، ص ٢٢٤ ، حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ص ٢٧٥-٢٧٧ ، كوانت

، عملية السلام ، ص ١٤٥ ٠

(٩٤) حافظ إسماعيل ، مرجع سابق ص ٢٧٨؛ خالد أبو ستة ، مرجع سابق ص ٢٢٤.

(٩٥) عندما أشار حافظ إسماعيل إلى التعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل فى مجال الأسلحة الذرية ، انزعج هنرى كيسنجر وسأله هل أنت جاد ؟ ثم أنكر بشدة مؤكداً على أنه لايوجد أى تعاون نووى من أى نوع بين الولايات المتحدة وإسرائيل ثم سال حافظ إسماعيل أن يمده بأى معلومات مؤكدة عن أمور غير قانونية تتم فى هذا المجال !! أنظر نص محضر الاجتماع المعرب ، خالد أبو ستة ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤ ٠

(٩٦) حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ٢٨٠ ٠

(٩٧) كوانت ، عملية السلام ، ص ١٤٧ ٠

(٩٨) حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ٢٨١ ٠

(٩٩) Memorandum from Kissinger to the President meeting with Hafiz Ismail on May 20, June 2, 1973.

انظر تعريب للوثيقة : خالد أبو ستة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٣٨-٢٤٠ ٠

(١٠٠) Ibid.

(١٠١) Ibid.

(١٠٢) Ibid .

(١٠٣) Ibid .

(١٠٤) Ibid .

(١٠٥) Ibid .

(١٠٦) Ibid.

(١٠٧) Ibid .

(١٠٨) كوانت ،عملية السلام ، ص ١٤٥ ؛ يقول محمود رياض ، لم تخرج مصر بأى نتيجة من "دبلوماسية كيسنجرالسرية "ومن مباحثاته مع حافظ إسماعيل أنظر ، محمود رياض ، أمريكا والعرب ، ص ص ١٥١-١٥٢ إدوارد ف شيهان ، العرب والإسرائيليون وكيسنجر ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، ١٩٧٦ ،

(١٠٩) Henry Kissinger, Memorandum for the president files, president's meeting with General Secretary "Leonid Brezhnev" on Saturday, June 23, 1973.

(١١٠) Ibid ,

حافظ إسماعيل ، المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ٠

(١١١) Ibid,

كوانت ، عملية السلام ، ص ص ١٤٥- ١٤٦ ٠

(١١٢) Ibid,

Memorandum for the record "Next step on the Middle East June 29, 1973.

(١١٣) Ibid,

(١١٤) مصدر هذه الوثيقة هو السجلات الوطنية ، مجموعة سجلات رقم ٥٩ سجلات وزارة الخارجية ٠ وتوجد ترجمة جيده لها فى خالد أبو ستة ، المرجع السابق ص ص ٢٥٠-٢٥١ ٠

(١١٥) Ibid,
وحول تجاهل نيكسون وكيسنجر لوزارة الخارجية ، أنظر نفس الوثيقة كوانت ، المرجع السابق ، ص ص ١٤٣- ١٤٤ ٠

(١١٦) Ibid,
ذكر تيودور أليوت الأصغر فى هذه المذكرة أن نيكسون و كيسنجر حشرا روجرز ووزارة الخارجية فى الهامش ، و أن كيسنجر اغتصب دور روجرز ودور وزارة الخارجية فى قضية الشرق الأوسط ، أنظر أيضاً ، محمود رياض، أمريكا والعرب ص ص٢٥٠-٢٥١ ؛ هيكل ، أكتوبر١٩٧٣ ص ص٢٣١-٢٣٢ ٠

(١٧٧) Memorandum of Kissinger Zahedi conversation, September 15, 1973.
ملخص للقاء بين كيسنجر وأردشير زاهدى ٠

(١١٨) ترجم خالد أبو ستة ، الوثيقة الأهم التى تحمل أفكار "هنرى كيسنجر" و النقاط التى طلب منه أن ينقلها إلى الطرف المصرى " أشرف غربال " وحضر اللقاء مع زاهدى ، بيتردبليو رودمان من مجلس الأمن القومى الأمريكى، مرجع سابق ، ص ص٢٦٣-٢٦٧

(١١٩) نفس المرجع ، ص٢٦٥ ٠

(١٢٠) مرجع سابق ، ص ٢٦٦ ٠

(١٢١) نفس المرجع ، ص ص٢٦٦-٢٦٧ ٠

(١٢٢) نفس المرجع ، ص٢٦٦ ٠

(١٢٣) نفس المرجع ، ص ٢٦٧ ٠

(١٢٤) نفس المرجع ، ص ٢٦٦ ٠

(١٢٥) نفس المرجع ، ص٢٦٧ ٠

(١٢٦) قال كيسنجر حرفياً لزاهدى ليس هناك حل متصور ، يمكن أن تقبل به جميع الحكومات العربية ، ولماذا لا نترك المصريين يعانون من الضغط ؟ "

(١٢٧) خالد أبو ستة ، مرجع سابق ، ص ٢٦٧ ٠

(١٢٨) أشرف غربال ، مرجع سابق ، ص ٧٢ ٠

(١٢٩) نص رسالة كيسنجر نشرها أشرف غربال كما نشر حواره مع زاهدى فى المرجع السابق ص ٧٢ -٧٧ ولم تختلف عن التقرير الذى رفعه " أشرف غربال " إلى " أنور السادات " بعد مقابلته " لزاهدى " وكان هيكل قد نشره كاملاً فى كتابه : أكتوبر١٩٧٣ السلاح والسياسة ، مرجع سابق ص ص ٢٨٦-٢٩٠ ٠

(١٣٠) أشرف غربال ، مرجع سابق ، ص ٧٤ ٠

(١٣١) نفس المرجع ص ٧٣ ، انظر أيضاً ، محمود رياض ، أمريكا والعرب ص ١١٥ ٠
(١٣٢) نفس المرجع ، ص ٧٣-٧٤ ٠
(١٣٣) نفس المرجع ، ص ٧٤ ٠
(١٣٤) نص تقرير أشرف غربال عن مقابلته لأردشير زاهدى ، أنظر أشرف غربال، مرجع سابق ، ص ص ٧٣- ٧٥ ؛ هيكل، أكتوبر ١٩٧٣ ص ص ٢٨٦-٢٩٠
(١٣٥) وردت أفكاره هذه بوضوح فى حديثة مع السفير الإيرانى" أردشير زاهدى " وفى المذكرة الذى رفعها " تيودور اليوت الأصغر " سبق الإشارة إليها ، خالد أبو ستة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٥٠- ٢٥٥ ؛ أنظر أيضاً ، تحليل كوانت ، عملية السلام ، ص ص ١٤٠ – ١٤٧.
(١٣٦) كوانت ، عملية السلام ، ص ص ١٤٥-١٤٧ ٠
(١٣٧) نفس المرجع ، ص ١٤٧؛ وأنظر نص حديثه مع السفير الإيرانى وثيقة سابقة ٠
(١٣٨) نفس المرجع ص ١٤٧ ٠
(١٣٩) نفس المرجع ص ١٤٨ ٠
(١٤٠) وصف السادات " بالفرعون " كدليل على ممارساته الديكتاتورية ، أوعظمة إنجازاته ، ليس من عندنا ،وإنما استخدمه هو نفسه فى بعض تصريحاته الصحفية ، كما أطلقه عليه بعض الكتاب الغربيين ؛ انظر أيضاً ، أنور السادات البحث عن الذات، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
(١٤١) هيكل ، الطريق إلى رمضان ، ص ص ١٧-٢٣ ؛ أنظر أيضاً ، الشاذلى، مرجع سابق ، ص ص ٣٠٩-٣١٦ ٠؛ السادات ، البحث عن الذات ص ص ٣١١- ٣١٢ ، جون بولوك، مرجع سابق ص ص ١٠-١٣ ٠
(١٤٢) لمزيد من التفاصيل ؛ أنظر موقفة إبان الحرب فى : Kissinger,op. cit., P.P.1253, 1299, 1409,
ديفيد ج. دالين ، رؤوساء الولايات المتحدة واليهود، ترجمة : الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، ٢٠٠٢) .
(١٤٣) من الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث ، موضوع " الدبلوماسية السرية الأمريكية أثناء حرب أكتوبر ، وأثرها على النتائج النهائية للحرب " خاصة بعد أن تم الإفراج عن الوثائق الأمريكية حتى سنة ١٩٧٦ ٠
(١٤٤) حول هذه الفكرة ، أنظر، صمويل لويس، الولايات المتحدة وإسرائيل :الثبات والتغيير، دراسة منشورة فى : كوانت أمريكا والعرب وإسرائيل ، نفس المرجع ص ص٣١١-٣٦٩ ٠